دار ديوان
Dar Diwan

قانون الذكريات

مجموعة قصصية

فريق متميزون
E-BOOK

محمود علام

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

قانون الذكريات

(مجموعة قصصية)

محمود علَّام

عن الرواية..

الخيال.. ذلك الخيال الذي ميّز بني البشر منذ بدء الخليقة، كان دومًا هو الأداة الوحيدة التي امتلكها الإنسان يومًا، واستطاع بها أن يرنو صوب تطلعاته منذ القدم نحو الفضاء والنجوم، ونحو ذلك الظلام الشاسع الذي يخفي في كل أركانه لغزًا غامضًا لا يزول، فلو لم يكن مقدّرًا لنا يومًا زيارة تلك الشموس والعوالم الأخرى، والسفر عبر أعماق الكون ذاته؛ فسيظل بإمكاننا دومًا الطموح وتخيل ماهيته وأسراره اللامتناهية. هذه الخيالات المستقبلية المذهلة هي ما تتلقى أنت الآن بعضها في الصفحات القادمة، في شكلِ قصصٍ تحكي لك حكاياتٍ لم ترَ من قبل، ولم يسمعها بشر، ربما هي حقيقة حدثت في كونٍ آخر، وزمنٍ آخر، وربما كانت وليدة عقلٍ أنهكه التفكير والتأمل والشرود، لا أدري بالضبط! كل ما أعرفه هو أن كلها غريبة ومذهلة، وأنها تستحق وقتك وتفكيرك في معانيها الخفية، فتعال معي لأصحبك في رحلةٍ نحو المجهول، في رحلة نحو حافة الكون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

يومًا ما، قال كاتب الخيال العلمي العظيم أرثر كلارك أن هناك شيئين ممكنين..

الأول هو أننا وحدنا تمامًا في هذا الكون الواسع، والثاني هو أننا لسنا وحيدين..

والاحتمالان مفزعان بالتساوي..

لكن المرعب أكثر منهما معًا، هو أن نكتشف فجأة أن كل ما كنا نعرفه ونتخيله ليس أكثر من مجرد غطاء.. مجرد قشرة تقبع على سطح المجهول.. وتخفي بداخلها محيطًا واسعًا وعميقًا من الاحتمالات اللانهائية التي تختبئ هناك، بعيدًا عن الأنظار والتطلعات، وحتى التصورات ذاتها..

هذا المجهول هو ذلك الكون العظيم، وكل ما يحويه من كواكبٍ ونجوم ومجرات وظلام..

ظلامٌ غامض كالفضاء نفسه.. ممتلئ عن آخره كمحيطٍ ضخم، وفارغ تمامًا كصحراءٍ جرداء خاوية، مقفرة.. ظلام أزلي شاسع المساحة ومترامي الأطراف، لا يفقه أحدهم ما يختفي خلف ستاره الداكن، ولا يجسرُ عقلٌ على تصور ما يقبع هناك.. خلف حدوده..

وهذا الظلام العظيم والكون الواسع منذ ميلاده لم يكن يحوي يومًا حياة ذكية تستطيع التطلع إلى جماله وسبر أغواره.. حتى جئنا نحن..

منذ بداية التاريخ البشري، استطاع الكون أخيرًا أن يرى نفسه ويتطلع إلى بهائه من خلال عيوننا نحن..

من خلال آذاننا نحن، استطاع الكون سماع نغمات مقطوعاته وألحانه التي تعزفها أوتار الخيال ذاته.. نحن الشاهدون على عظمة هذا الكون الواسع، واستحالاته ومعجزاته.. كل هذا كان ليمر مرور الكرام، لولا وجود البشر ليلحظوا وجوده ويتأملوه، ولولا الخيال..

الخيال البشري هو الأداة الوحيدة التي امتلكها الإنسان يومًا، واستطاع بها أن يرنو صوب تطلعاته منذ القدم نحو الفضاء والنجوم.. فلو لم يكن مقدرًا لنا يومًا زيارة هذه الشموس والعوالم الأخرى، والسفر نحو حافة الكون ذاتها، فسيظل بإمكاننا دومًا الطموح والتخيل..

هذه الخيالات المستقبلية المذهلة هي ما تتلقى بعضها أنت الآن في الصفحات القادمة، في شكل قصص تحكي لك حكاياتٍ لم ترَ من قبل، ولم يسمعها

بشر..

ربما هي حقيقة حدثت في كونٍ آخر، وزمنٍ آخر، وربما كانت وليدة عقلٍ أنهكه التفكير والتأمل والشرود.. لا أدري بالضبط..

كل ما أعرفه هو أن كلها غريبة ومذهلة، وأنها تستحق وقتك وتفكيرك في معانيها التي لا حصر لها..

فتعال معي لأصحبك في رحلةٍ نحو المجهول..

رحلة نحو حافة الكون ذاته..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 1 -

إنفيرنو

Inferno

الموت.. الموتُ شيءٌ صادم دومًا، ولا يستوعب..

دائمًا نفكر في الحياة على أنها شيءٌ دائم.. أبديٌ أبد الوعي والوجود نفسه.. لا أحد يجسر على تخيل أن وعيه سينتهي يومًا ما.. تلك النقلة بين النور والظلام هي فوق مستوى استيعاب العقل البشري.. أن تكون هنا، ثم فجأة تصبح هناك.. كأنما هو مفتاحُ نورٍ ينغلق، لينقل وعيك إلى ظلامٍ حالك كالليل، ساكن كالموت.. أو ربما هو الموت ذاته كما تخيلته دومًا..

ولذا كان شكل أعيُنِها الشاردة بالنسبةِ لي أشبه بالحلم، في رقدتها الساكنة أمامي على السرير الذي امتلأ عن آخره بعرقها المتصبب من جبينها كشلالٍ ساكن حزين.. حلم أن أعرف ما تفكر فيه الآن، وماهية ذاك الذي لابد أنها تراه أمام مجال بصرها الذي يتضاعف، ويخبو بريقه.. أن أفقه كُنه المكان الذي سيذهب إليه وعيها، وتنتهي إليه فكرتها.. ما الذي ينتظرها فعلًا؟ ظُلمَةٌ، أم نورٌ أكثرُ سطوعًا؟!

لم تكن هي منتبهةً إلى نظراتي، في غمرة شرودها في منظر السقف الذي تشقق طلاؤه.. جلدها ذاته قد استحال بياضه حمرةً، وبدأت أجزاؤه في الذوبان.. هل شَهِدْتَ يومًا شكل الجلد البشري بعد وضعه على النار للحظات؟ هو نفس المنظر..

عرقها يبلل الوسادة تحت رأسها كالمطر.. جسدها متصلبٌ في مكانه، وبرغم ضعفه العام المتبدي على قسماته في وضوح، كانت أصابعها تقبض على الملاءة بقوة مستميتة، إلى درجة مزقت نسيجه ذاته.. كأن عضلات كفيها تعلن عن خوفها الجَليّ مما هو قادم.. خوفها من النهاية.. تعلن خوفها، ورغبتها في البقاء ها هنا.. هي لا تريد الذهاب إلى هناك.. أيًا كانت ماهية ذاك الذي هناك..

رائحة الموت نفسه تتزايد في جنبات المكان، وأركانه.. رائحة خانقة لا توصف، تشعر بأنها تطبق على أنفاسك، كأنك في فراغٍ لا يحوي ذرة من هواء أو نسيم..

هل جاء الموت؟

تذكرت رُغمًا عنّي قصةً قديمة لا أذكر أين قرأتها، عن ملاك الموت الذي يقف صوب رأس المريض حتى يستطيع قبض روحه، وذلك الشخص الذي يستطيع

رؤيته، فيُدير السرير حول نفسه إلى الناحية الأخرى، حتى يُفسِد على الموت مهمته، وهكذا دواليك.. هل الموت الآن يقف جوار رأسها، ويقبض روحها؟ لا أعتقد أنني سأعرف.. كمثل أي شيءٍ نرى تأثيره فقط، ولا نقدر على رؤيته يومًا..

الموت.. الحياة.. الكون.. الخلق.. هل كلُ ذاك حقيقيٌ فعلًا، أم أن ما ينتظرها وينتظرنا جميعًا هو ظلامٌ دامس أبدي، لا نهاية له؟

ولكن كل شيء له نهاية بالتأكيد.. كل شيء.. حياتها التي تتسرب من جسدها أمام عينيّ الآن هي أكبر دليل على ذاك..

بدون صوت، وبلا ألم.. أو هذا ما أعتقده على الأقل.. الآن هي هنا، وفجأة هي هناك.. على الشاطئ الآخر، والناحية الأخرى.. لن تعود يومًا، ولن نعرف أبدًا ما رأته هناك..

نهضت من مكاني واقتربت منها لألقي نظرة على عينيها التي خبت منها لمعةُ الحياة.. وكأنها لم تكن في يوم..

هي الآن هناك.. على البر الآخر.. قد عرفت السر أخيرًا.. عرفته وتركتني هنا وحدي، كما تركني الآخرون جميعًا..

الوحدة مغرية في البداية، لكن حينما تجربها فعلًا وتدرك أنها أصبحت حقيقتك الوحيدة، وواقعك الذي لن يتغير ما تبقى لك من عيشة، تغدو أثقل من ألفِ صخرةٍ على صدرك.. تخنقك بنارِ الاحتياج، والشوق لشخصٍ ما تُكَلِمُه.. شخصٌ يسمعك وتسمعه.. إنسان مثلك، له ملامح تستطيع النظرَ إليها والشرود في تفاصيلها وهو يفكر في شيءٍ يقوله لك، لم يخطر على بالك أبدًا..

كلُ هذا لم يَعُد موجودًا.. الآن أنا وحدي تمامًا..

تركتها في مكانها، وخرجت إلى الردهة.. كلُ شيءٍ مُرَتّب، وفي موضعه.. كأن شيئًا لم يحدث.. كأن السر الأعظم لم يحدث أمام عيوني منذ أقل من دقيقة..

كأنَّ كُل شيءٍ كما كان..

أشعة ضي آخر النهار، المتسربة من بين النافذة التي تجاور الباب.. ضياءٌ مريحٌ ومسالم.. منظر أشعته الخفيفة الذهبية ينقل لك شعورًا دافئًا بالأمان، كأن كفوفًا خفية تعانقك، وتربت عليك مطمئنة.. يجب أن أخرج الآن.. لا أقوى على البقاء هنا..

دنوتُ من الباب، وفتحته.. صوت الصرير الذي تعالى وهو ينفتح عالٍ جدًا.. لأنه لا أصوات سواه.. كل ما يحويه الكون هو سكون..

خرجت إلى الشارع الخاوي تمامًا.. لا إنسان هناك على مرمى البصر.. حتى السيارات لم تعد موجودة.. جميعهم ذهبوا.. رحلوا جميعًا وتركوني أنا هنا.. أنا الوحيد.. فقط هي التي ظلت جواري، ولم تتحمل فكرة الفراق وقرار الرحيل.. حتى قرر الموت بدلًا منها..

صدى صوت خطواتي في الشارع ينعكس ويرتد من على جدران البيوت والأسوار.. عالٍ جدًا لأنه وحيد تمامًا مثلي.. لا يوجد غيره..

إنها الوحدة.. الوحدة عندما تصبح أقوى من الحقيقة ذاتها، وأكثر واقعية..

خطوات عديدة لا تُعد ولا تُحصى.. ومسافة طويلة لا تستوعب، مشيتها قدماي.. بلا هدفٍ أو غاية..

كل شيءٍ خالٍ ومقفر.. كل البيوت مُظلِمة موحشة.. لا توجد سيارة واحدة حتى في الشارع بأكمله..

أحيانًا تغمُرك الوحدة بشعورٍ سلام عجيب لا تدري له سببًا.. ربما كان الفراغ والهدوء الذي يُريح حواسكَ رغمًا عنك.. لا شيء يخيفك أو يُقلِقُك.. حتى الخوف والقلق ذاتهما رحلا مع الراحلين..

كيف بدأ كل شيء؟.. لا أتذكر بالضبط، ولكنني أذكر التحذيرات على شاشات التليفزيون في كل مكان.. أذكر الأطباء الذين احتلوا البيوت والمؤسسات، والمدينة بأكملها، وهم يرتدون البذلات الواقية التي كانت تذكرني بملابس رواد الفضاء.. كنت أتمنى أن أغدو رائد فضاء أنا الآخر، لكن الحياة نفسها انتهت قبل أن أجسر على التمني..

ما زلت أذكر الناس الذين كانوا يجمعونهم في العربات المصفحة، ومنظر جلدهم ذاته وهو يذوب من أجسادهم.. صوت الصراخ الذي يمتزج بصوت المحركات وهي تنطلق حاملةً إياهم إلى مكانٍ مجهول.. إلى حيث يختفي الآخرون جميعًا، ولا يسمع عنهم أحد..

حمى «إنفيرنو Inferno» كما كانوا يسمونها، نسبةً إلى الجحيم.. منظر الجلد الذي كان يذوب كالشمع تحت تأثير حرارة الجسد، لابد وأن يذكرك بوصف الجحيم في كتب العهد القديم..

لا أحد كان يدري من أين أتت، ولا سببها.. كيف بدأت، وأين.. كان الأمر يبدو كأنها انبثقت من العدم.. ثم شيئًا فشيئًا كالكوابيس، بدأت الحقيقة في الظهور أخيرًا..

ولم تكن كما تخيلها أحدٌ أبدًا..

تلك الفتاة الصغيرة التي تقف هناك، جوار عمود النور الطويل.. شكلها تحت النور الأبيض الساطع غَمَر قلبي بشعورٍ لا يمكن وصفه..

شعورُ أمان.. تعلُّق بالواقع والحياة من جديد.. العالم لم ينتِه بعد!

لستُ وحدي!

دنوت منها.. دموعها المنحدرة على وجنتيها وهي بتبكي فرقًا أورثتني تجاهها شعورًا غامرًا.. شعوراً أبوياً جارفاً غَلَّفني كأنها ابنتي.. قد نسيها العالم، وتركها لي أنا.. ليس هناك من هو باقٍ ليرعاها، ولا أحد يهتم، سواي أنا..

أنا الأخير.. أنا الوحيد..

سحبتها من كفها، وتركت هي لي نفسها لأحملها وأطبع قبلة على خدها.. ثم أحاطت بذراعيها رقبتي وهي تعانقني كأني أبوها فعلًا.. ولسببٍ ما، توقفت دموعها عن الانهمار، وهدأت أنفاسها المتلاحقة، وتوقف قلبها عن الخفقان كالطبول، وعاد لطبيعته..

غريبٌ أنا بالنسبةِ لها، لكن لسببٍ ما لا أفهمه بالضبط، لم تشعر بخوفٍ مِنّي.. من يدري؛ فلربما كانت هي أيضًا وحيدة، ووجدت فيّ مهربًا من كابوس العُزلة والوحشة، والفراغ الذي غلف العالم كله بعباءته الظلامية الحالكة..

ضممتها إلى جسدي أكثر، وأحاط كفي برأسها الصغير، وعبثت أصابعي في شعرها الناعم المُنسَدِل، وتحركْت خطواتي.. لا أدري لأين، ولكن ذاك لم يكن مهمًا.. المُهِمُ أنها معي، وأنني لست وحدي بعد الآن..

ثم بطرف عيني، لمحتُ منظر اللوحة الإلكترونية العملاقة المُعَلَّقة في واجِهة الشارع، وملامح الشخص المرتسمة عليها، وتحتها التحذيرات العديدة المكتوبة بكل لغات العالم.. احذروا.. لا تقربوا هذا الشخص..

ذاكَ هو كابوسي، وسبب الوحدة التي أسرتني، وغلفت عالمي كله وحشةً وكآبة وظلامًا..

أنا حامِل المرض.. وناقِلُه..

كُلُ هذا بدأ بسببي أنا.. ولسببٍ لا أعرفه، ولا أعرف حتى كيف بدأ.. فقط حينما لاحظت أن الجميع حولي يبدأون في الذوبان أحياء بعد لحظات من أي تلامُس معي، أو مصافحة، أو حتى بعد أن يتنفس أحدهم الهواء الذي أتنفسه ذاته؛ أدركت الحقيقة المُخيفة، وأدركها العالم بأكمله.. وإن كانوا أجبن من أن يتعاملوا معها كما ينبغي.. وكأنما الدهر كان ليمنحهم من الوقت متسعًا لأن يفعلوا أي شيء على كل حال، فكل شيءٍ تداعى بسرعة البرق، وقبل أن يدرك أحدهم ما يحدث، كانت العدوى قد انتشرت، وصار الكوكب بأكمله بقايا

عضوية بشرية، تبخر ما تبقى منها تحت تأثير حرارة الحمى الجحيمية التي لا تفسير لها، ولا مصدر..

أنا المرض ذاته.. أنا سبب الموت نفسه، ورسوله.. أنا جالب الموت الذي لا يموت.. وربما كنتُ الموت نفسه مجسدًا.. من يدري؟

ما أعرفه وأوقن منه هو أنني لم أقصد أبدًا كُلّ ما حدث، وذاك الذي كان..

لم أطمح يومًا لأن تكون نهاية الجنس البشري بأكمله بسببي أنا..

ربما كان ذاك الذي أعيشه هو العِقاب الإلهي المتوقع بعد ما سببته.. أن أظَل طوال عمري وحيدًا كقطرة ماء وسط صحراءٍ قاحلة، بلا أنيسٍ أو ونيس.. وحدي تمامًا، كما لو أن الكون بأكمله لا يحوي روحًا سواي، ولا يتنفس هواءه غيري..

عقاب سيزيفي كابوسي يذكرك ببروميثيوس، ولا يختلف كثيرًا عن أن يأكل الرُخ كَبِدي كل يوم.. بل ربما كان الرُخ أسهل، وأكثر آدمية..

بلا هدف ولا غاية، تحملني خطواتي لمكانٍ لا أعرفه..

بشرتها وجلدها ذاته بين ذراعي بدأ في الاحمرار، وبدأت في البكاء مرة أخرى؛ ألمًا هذه المرة.. إنذارًا بأن لحظات هروبي القصيرة قد أوشكت على النهاية، وأن شبح الوحدة يقترب من جديد..

تلك هي حياتي القادمة، وكل ما تبقى من أيامي حتى نهايتها..

إنفيرنو..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 2 -

كائنات العالم المسطح

Flat World Creatures

الحقيقة أن (جاريت ووكر) ممل للغاية..

أسمعكم تسألونني عن السبب، ولكم أقول إنه واضح للغاية.. ذاك لأنه منغلق الفكر، متحفظ جدًا، ويعادي كل ما هو جديد أو مجهول..

صحيح أن هذه صفات زُرعت فينا جميعًا منذ جئنا إلى هذا العالم، وربما قبل ذلك بكثير، ولكن ذاك لا يشفع له.. الإملال مرض معدي كما تعرفون، وهو لا يُشفى إن تفشّى..

أسمعكم تسألونني عن هويتي، وكيف جئتم إلى هنا، وسبب استماعكم لما أحكيه الآن.. والحقيقة أن سؤالكم غريب للغاية، وأجسر على القول بأنه فظٌ كذلك.. لم أر يومًا قراءً يسألون صاحب الحكاية عن ما يفعلونه في قصته، ولماذا يخاطبهم.. لمن سأحكي ما يعتمل بنفسي، ويجوب ذهني إذًا؟ قبولكم لدوركم كمستمعين مؤثرين في تفاعل الأحداث مع بعضها هو مهم للغاية، لو كانت لدي أي فرصة لحكيٍ مُلهِم.. ثم إن مجيئكم إلى هنا، واستماعكم إليّ ليس اختياريًا.. أنتم شخصيات وهمية ابتكرها عقلي لتساعده على الكلام، وغلبة توتره على أي حال، لذلك فلن أهتم بمشاعركم أو أسئلتكم كثيرًا..

ولكن سؤالًا بعينه وسط تساؤلاتكم كان مهمًا فعلًا.. من أنا؟

اسمي هو فينسينت هوفستادر.. أستاذ الفيزياء التجريبية Experimental Physics بجامعة ستانفورد.. وما نحن بصدد الكلام عنه هو نظريتي الغريبة بعض الشيء..

دعوني أحكي لكم من البداية..

الحقيقة أن نظرية كائنات العالم المسطح Flat-world Creatures كانت طموحة للغاية في فكرتها.. ولربما كانت هذه هي أسباب رفضها من جانب إدارة الجامعة، برغم كل جهودي في عرض فوائد الفكرة.. لم يصدقوني برغم كل شيء، وظلوا دومًا يعدّونني مجنونًا.. أو ربما هي فقط غريزتهم الفطرية التي تلقي رعبًا خفيًا في قلوبهم من المجهول.. كمثل جاريت ووكر مدير البحث العلمي بالجامعة الوغد، الذي سخر كثيرًا من الفكرة، واتهمني صراحةً بالتخريف.. لا أظنني ألومه على أي حال، فالفكرة والفرضية التي بنيت عليها المشروع كانت صعبة فعلًا على الاستيعاب، وتسلط ضوءًا قويًا على احتمالية

كوني مخبولًا، وهو ما لم يكن احتمالًا بعيدًا للغاية، فحتى أنا نفسي لا أستوعب ما أنا على وشك أن أحكيه لكم..

هل تخيلتم يومًا أن الأشكال الهندسية والخطوط والكلمات المسطحة ثنائية الأبعاد، ربما كانت لها حياة خاصة؟

هذا هو ما أراه أنا في كل ركنٍ من هذا العالم، منذ فترة ليست قصيرة.. كل شيء مكتوب أو مرسوم على أي سطح، هو حيٌ ويتحرك.. يفكر ويتكلم بلغته الخاصة الصامتة..

أراك وأنت ترمقني بنفس النظرة التي يرمقونني بها جميعًا، وربما كان معك حق.. ولكنني أؤكد لك أن هذا هو ما أراه فعلًا، وأنني لا أهلوس..

المرة الأولى التي شهدت فيها تلك الظاهرة، كدت أفقد الوعي رعبًا.. والسبب مفهوم طبعًا.. لو أنك كنت في موضعي، ورأيت الرموز والحروف والأشكال الهندسية التي رسمتها على الورقة العملاقة أمامك، تتحرك وتستطيل وتقصُر، فإنك حتمًا كنت ستفقد صوابك، وربما ظننت أن هذه هي سكرات الموت ذاته!

لا أذكر بالضبط متى بدأت في رؤية كل شيء يتحرك بذلك الشكل.. ولكنه لم يكن منذ فترة بعيدة بالتأكيد، وإلا جننت.. بدأ كل شيء حين كنت أصمم تجربة لتأكيد نظرية فيزيائية جديدة، ورسمتُ رسماً هندسياً لها على لوحة عملاقة، ثم حاولت التركيز في تفاصيلها لفترة طويلة، علّني أصل إلى طريقة أكثر فعالية للتجريب.. وكان ما وصلت له أكثر غرابة بما يقاس..

كنت أرى كل ما رسمته وكتبته يتحرك! حركة بسيطة غير ملحوظة، ولكنها هناك..

لم أعر انتباهًا للأمر في البداية، وظننته إرهاقًا، وأنني أتخيل الأمر بسبب قلة نومي في الفترة الماضية.. ولكن الأمر لم يتوقف، بل صار أكثر حدة وغرابة..

صرت أشهد الأشكال الهندسية تتحرك بوضوح سافر أكبر.. كأنما هي تتحداني.. الدوائر تتحرك في أماكنها على محيط الورقة، والمربعات تدور حول مراكزها.. الخطوط تستطيل ثم تقصر من جديد.. شيءٌ ما كان خطأ، أو ربما قد جننت أخيرًا..

لكنني لسبب ما كنت واثقًا أن هذا ليس الجنون.. الجنون ليس بهذا الوضوح ولا تلك التفاصيل.. صحيح أن المخابيل لا يعرفون أنهم مخابيل، ولكن هذه ليست النقطة..

حاولت دراسة الموضوع كثيرًا، ولكنني لم أستوعب أبدًا المعنى.. كان الأمر يبدو كما لو أن هذه الأشكال ليست مجرد أشكال مرسومة، بل هي لها حياة خاصة، ثنائية الأبعاد..

نحن كبشر وككائنات طبيعية عمومًا نعيش في عالم ثلاثي الأبعاد.. وتلك الأبعاد الثلاثة هي ما نستوعبه نحن على أنه عالم حقيقي.. كل شيء له طول وعرض وارتفاع، ونستطيع استيعابه بناءً على شكله..

لكن ماذا لو لم يكن هذا كل شيء؟

ماذا لو كانت هناك عوالم أخرى، ذات أبعاد أخرى لا نعلم عنها شيئًا، بسبب كونها تقع في حيز لا نستوعبه؟

ماذا لو تخيلنا أن هناك عالمٌ يتكون من بُعدين فقط؟!

عالم ثنائي الأبعاد، تتكون أبعاده المِساحِية من طول وعرض فقط! كيف يمكن أن يكون شكل عالمٍ هكذا؟.. حاول أن تتخيل معي..

سيبدو أشبه بجدار أو ورقة، أو أي سطح مستوى.. لا يمكن التحرك فيه سوى للأمام أو الخلف واليسار واليمين.. بالضبط ككونك تمرر قلمًا من الحبر، على ورقة بيضاء..

ولو كانت هناك كائنات حية في عالمٍ مثل ذاك، فإنها بالتأكيد ستكون ثنائية الأبعاد، مثله بالضبط.. أشبه بالأشكالِ الهندسية، كالمربعات أو المثلثات أو الدوائر.. تتحرك للأمام والخلف واليمين واليسار، وتتواصل فيما بينها بلغة الإشارة.. ربما تغير من أشكالها وأطوالها حتى تتمكن من الفهم..

وبالنسبة لكائناتٍ مثل تلك، وجودنا نحن هو شيء لا يمكن أن يستوعبوه مهما حاولوا.. وذلك لسبب مهم.. كيف يمكنهم أن يستوعبوا وجود كائنات علوية تعيش في عالم أكبر، يحوي بعدًا إضافيًا، وتراقبهم من حيث لا يمكن أن يرقبوها؟ لا وجود لكلمة النظر إلى (الأعلى) بالنسبة لهم.. الإتجاهات هي فقط أمام وخلف، ويمين ويسار، وكل ما هو بينهم.. لا يمكن أن ينظر أحدهم إلى الأعلى أو الأسفل، ببساطة لأنه لا وجود لهذين الاتجاهين في عالمه.. لأنه لا يوجد ما يسمى بالبعد الثالث، أو الارتفاع.

بالنسبة لكائناتٍ مثل تلك، فنحن لو وجدنا فعلًا، سنكون أشبه بمفهوم الآلهة لديهم..

نراقبهم ونراقب حياتهم بأكملها من اتجاه لا يستوعبونه هم.. من الأعلى..

على سبيل المثال، لو تخيلنا أن هناك كائناً من هؤلاء، يملك صندوقًا أو خزينة، يخفي بداخلها شيئًا ما، وافترضنا أن تلك الخزينة في عالمه هي مربع، وأن

داخل ذلك المربع، هناك دائرة، وهي السر الذي يريد أن يخفيه هو عن باقي عالمه، فسنجد أنه لن يستطيع أحدهم رؤيتها من منظورهم ثنائي الأبعاد، لأنها تختفي داخل خطوط المربع، التي تشكل جدارًا يخفيها عن مجال بصرهم.. ولكن نحن كبشر نقدر على رؤية الخزينة التي هي المربع، ورؤية ما هو داخلها أيضًا، أو الدائرة.. وذلك بسبب أننا ننظر إليها من الأعلى! من اتجاه غير موجود في ذاك العالم ثنائي الأبعاد.. وبنفس الفلسفة، فإن نفس ذلك الكائن ثنائي الأبعاد لن يستطيع أن يستوعب وجودنا، وأننا ننظر إليه وإلى ما يخفيه داخل خزينته، وإلى أكثر أسراره وذنوبه سوداوية، لأنه ببساطة لا يستطيع النظر إلى الأعلى!

طبعًا أنتم تتوقعون رد فعل ووكر حينما سمع نظريتي وما افترضته للمرة الأولى.. كان يوشك على أن يطردني، أو يتصل بمستشفى الأمراض العقلية ليصحبوني في نزهة، لو كنتم تفهمون ما أعنيه.. لا أفهم كيف وصل شخصٌ مثله، إلى منصب مدير البحث العلمي في جامعة مثل ستانفورد.. منصب يحتاج إلى عقلية علمية متفتحة، وتقبل لأكثر النظريات والفرضيات غرابة وطموحًا.. هو أغبى من حقيبة من المسامير، بالإضافة إلى أنه ممل إلى حدٍ يثير الأعصاب..

حاولت كثيرًا أن أنسى الأمر، ولكنني لم أستطع.. في كلِ مكان كنت أذهب إليه، كنت أشهد حياة كاملة للأشكال الهندسية المرسومة، وحتى الحروف والأرقام، باعتبارها أشكالًا بدورها.. على الأوراق وقوائم الطعام في المطاعم.. على زجاجات المياه، وشاشات الهواتف الذكية.. على نوافذ السيارات، وجدران البيوت.. والأدهى أن أحدًا غيري لم يكن يرى هذا.. ولذلك فقبل أن أقبل بفرضية جنوني وخبالي، قررت أن أجرب شيئًا ما..

كنت أملك نظرية معينة يمكنني أن أستعملها للتواصل مع تلك الكائنات.. تلك النظرية أسميتها بفرضية الظلال.. سأشرح لكم الأمر باختصار..

لو كنت تريد أن تتواصل مع كائن ثنائي الأبعاد، يعيش على حائط مثلًا.. فكيف يمكنك أن تفعل ذلك؟ حاول أن تتخيل فيزياء المشكلة، وهندستها.. وستصل إلى الحل بسهولة..

بالضبط.. يجب أن تحول نفسك إلى شكل ثنائي الأبعاد، يمكنه هو أن يستوعبه ويراه، ويتواصل معه بسهولة..

وكيف تتحول إلى شكل ثنائي الأبعاد؟

بالظلال طبعًا..

بفرض أنك تقف أمام مصدر ضوئي، وتلقي بظل جسدك على الحائط، فإن ظلك هو شكل ثنائي الأبعاد، يُسقَط على جسم مسطح.. وبالتالي فإنه لا يملك ارتفاع.. هو فقط طول وعرض.. تمامًا كمثل تلك الكائنات..

ولذلك فأنت تراني هنا، في وسط معملي، أقف أمام اللوح الخشبي الأبيض العملاق، الذي رَسَمتُ أشكالًا هندسية عديدة على طرفه الأيسر، وتركت مساحة بيضاء على الطرف الآخر، حتى يمكنني إسقاط ظلي عليها..

تراني وأنا أعد ضوء الكشاف العملاق، وأوجه أشعته نحو الحائط، ثم أقف في مسار الضوء..

ظلي يتشكل على الحائط بالفعل.. ولكن الأشكال الهندسية التي تتحرك في كل اتجاه، لا تلحظ وجوده.. بالتأكيد هو عملاق للغاية، ولذا لا يسعهم استيعابه.. يجب أن يكون الظل صغيرًا وجزئيًا، ويجب أن يكون شكله سهلًا وبسيطًا حتى يتمكنوا من فهمه واستيعاب أنه ليس جزءًا من عالمهم..

وهكذا عدّلتُ وضعيتي، واتجاه الكشاف، وشدته، حتى يعكس ضيه جزءًا بسيطًا من مساحة اللوح، وسلطته نحوه من جديد..

ومع دخولي إلى مجاله، سطع الضوء، واشتد بريقه..

ومع سطوعه، استطال ظلُ كفي إلى حدودٍ بدا قصرها كأنه جزءٌ من سطح عالمهم..

عالمهم الذي غطاه شكلٌ ظل أصابعي الأسود، حالك الظلمة، فبدا كأنه شبح الموت ذاته، وقد جاء ليحصدهم..

وحين بدأوا في الالتفات، والاستدارة، ومحاولة الفهم أو الاستيعاب، التقطت نفسًا عميقًا، ثم بدأت في تحريك يدي لتعكس لغتهم التي واظبت على دراستها لفترة طويلة للغاية، حتى كونت فكرة بدائية عنها تكفي لبدء الحوار..

هذه هي لحظة الحقيقة..

أرى الآن أجسامهم المستوية وهي تستدير وتتجه نحو ظل كفي، فقط ليتوقفوا بعيدًا عنه، كأنهم ينظرون ويراقبون..

تُرى ما الذي يدور في أفكارهم الآن؟! لا أجسر على التخيل.. فكرة أن تصحو من النوم أو تنتبه فجأة لتجد أن ظلًا غريب الشكل والطبيعة يستولي على عالمك كله، ويغمره بظلامٍ غير مألوف.. لا أجرؤ على تصور شعور كهذا، فلا بد أنه مرعب بما لا يقاس..

أحاول تحريك يدي بطريقة الإشارة، لأوجه لهم التحية، ولكن لا يبدو عليهم أنهم يفهمون.. جميعهم يتجمعون حول الظل، وحركتهم تزداد سرعة، كأنما ذاك هو ذعرهم الذي يعلن عن نفسه، ويصعد للسطح..

بالتأكيد الأمر مرعب بالنسبةِ لهم.. فقط تخيل الوضع على نفسكِ أنت.. تخيل أنك تسير في الشارع في لحظةٍ ما، وجدت بعدها ظلامًا يتحرك من تلقاء نفسه منتشرًا أمامك في هيئة ثلاثية الأبعاد غير مألوفة لك، دون أي مصدر إضاءة من أي نوع! كأنما هذا هو الفضاء ذاته وقد تجسد في عالمك، وصار حيًا..

لحظة.. الفضاء؟!

هل يمكن أن يكون الفضاء والفراغ اللامتناهي الذي يحويه الكون ذاته، ما هو إلا ظل لكائن علوي، يحاول التواصل معنا أيضًا؟!

أراهم يستديرون، ويجلبون أشكالًا أخرى مستطيلة الشكل ويدفعونها نحو ظل يدي، محاولين أن يجذبوا الظل عبر اللوح إلى مكانٍ في آخره.. كأنه معمل من نوعٍ ما، يريدون استعماله في دراسة الظل.. الحمقى.. لا يعرفون ما هم بصدده.. ولا يفهمون حتى إشاراتي لهم.. يبدو أنني لم أفهم أو أستوعب لغتهم كما ظننت..

أشعر بأنني على اعتابِ شيءٍ ما! أعصاب يدي ترتجف انفعالًا، ودقات قلبي تتزايد حتى ليوشك على أن ينفجر.. هل كل ما يدور في عقلي الآن هو جنون؟! هل كل تلك الكائنات ثنائية الأبعاد التي تحيا على اللوح حقيقية فعلًا، أم أنني قد جننت ببساطة كما افترض ووكر، وقال الجميع مرارًا؟! ولو كانت حقيقية فعلًا، فلماذا لا يراها غيري؟!

هل أنا أقف على الحافة بين الحقيقة والخيال، وأوشك على اكتشاف سر الكون ذاته، أم قد جننت أخيرًا؟!

هذا مهم.. يجب أن أدون كل هذا قبل أن أفقد عقلي.. أين مفكرتي؟! ها هي هناك.. دعني أسكب كل هذه الأفكار على الورق قبل أن أجن..

لا تنظر لي هكذا.. أعرفُ أنك تظن أنني قد جننت بالفعل، خصوصًا وأنت لا ترى أي أشكال ثنائية الأبعاد تتحرك في أي مكان، ولكن دعني أؤكد لك أنك مخطيء.. لماذا تظن أنني يمكن أن أكذب عليك؟! ما مصلحتي في أن أخبرك بأشياءٍ لا طائل منها إلا أن تجعلك تتأكد أكثر من فكرة أنني مخبول؟!

أراك وأنت تنظر لي بعينيك مضيقًا إياهما، بينما تمط شفتيك شفقةً.. لا تظن أنني لا أرى نظرة الشفقة في عينيك الآن.. أنت مثلهم جميعًا.. لا تقدر على

استيعاب هذه الأفكار الطموحة، والفرضيات غير المسبوقة.. عقلك ليس مؤهلًا لهذا..

أسئلة عديدة تدور بعقلي الآن، وأفكار لا نهاية لها.. هل كلها ملكي فعلًا؟! كم بالمائة من خياراتي التي اخترتها طوال سنين حياتي كانت نابعة من أفكاري الخاصة، وليس مزروعة داخل رأسي من كائن آخر لا يستوعب أحدٌ وجوده؟!

يجب أن أتوقف عن التفكير.. لا أقدر على الاحتمال أكثر من هذا، وأشعر بأن عقلي يوشك على الذوبان.. ثم منذ متى كان المعمل حارًا هكذا؟! أنا متأكد أن جهاز التكييف المركزي يعمل بكفاءة، فمن أين تأتي كل تلك الحرارة؟!

سمعتُ من قبل دراسة لعالم فيزياء لا أذكر اسمه، تقول بأن البشر بأجسادهم المحدودة لو صاروا قادرين فجأة على استيعاب بُعد رابع، وقبل أن يدخلوه مباشرة، فإنهم سيحترقون تمامًا بفعل اختلاف قوانين الفيزياء نفسها خارج البُعد الذي يحيون فيه.. فهل هذا ما يحدث الآن؟!

لا أعرف، ولكن شيئًا ما ليس طبيعيًا.. أنت تعرف ذلك الشعور الذي يستولي عليك، ويوشك على جعل شعر ساعدك ينتصب فزعًا.. شعور أن أحدهم يراقبك من حيث لا تفقه ولا تستوعب.. وأنه لا يضمر لك خيرًا.. وأنه قادم في هذه اللحظة بالذات، ليأخذك إلى مكانٍ لا يعرفه أحد..

الحرارة تزداد..

إنه قادم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(هذه الخواطر وجدها عامل النظافة الذي أتى بعد يومين لتنظيف المعمل، مكتوبة داخل دفتر ضخم مُلقى على الأرض في وسط الغرفة، وحوافها محترقة نسبيًا.. ولا أحد يعرف مصير كاتبها حتى لحظة كتابة هذه السطور).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 3 -

السجين

The Prisoner

في مكانٍ ما..

في بعدٍ ما..

يقبع ذلك الكهف..

موحِشٌ شكله، يضيق الأنفاس، ويطبق عليها كأنه قبضة تخنق الناظرين، وتعتصر النسمات من رئاتهم ذاتها..

تحت السماوات الزرقاوات موقعه.. بجوار الحضارة، وبعيدًا عنها في آن واحد.. كأن الزمن قد نسيه، وسقط من فوق قطار الدهر، فلم يعد أحدٌ يعبأ بما يحويه، ولا بما يختفي في جوف ظلماته..

ذاك الذي يجلس هناك في الداخل..

جسده مقيد بالكامل، لا يقوى على تحريك أي جُزءٍ منه قيد أنملة.. لا تمنحه قيوده متسعًا من الحركة، ولا سبيل، سوى للنظر إلى ما هو أمامه..

لا يذكر كم من الوقت مضى وهو في وضعيته تلك..

لربما هو الدهر بأكمله قد جاء، ومر، دون أن يشعر..

حياته بأكملها تشكلت في وضعيته الجالسة تلك.. لا يذكر حتى أنه قد مر بيومٍ قد وُلِد فيه، ولا بآخر رأى فيه مشهدًا، غير ذاك الذي تنطبع عليه نظراته، وتراه يتشكل ويرتسم أمامه..

تلك الخيالات السوداء التي ترتسم على الحائط الصخرى المقابل له.. تتغير أطوالها وأبعادها بين كل فينةٍ وأخرى، فكأنما لها حياة كاملة تدور وتجرى أمام عينيه..

حياة هي كل ما أدركها، وكل ما عرف، منذ بدأت حياته، وجاء للعالم ليتطلع إليها.. وهي كل ما يتبقى..

لا يفقه حتى ماهية الطعام.. فقط يشعر أن أشياءً ما تخترق عروق جسده الذي لا يقوى حتى على إدارة رأسه لينظر إليه.. أشياء رفيعة تمده بكل ما يحتاج، فلا يطلب شيئًا، ولا يجسر حتى على التمني.. لا يعرف معناه من الأساس..

فقط يجلس.. يتطلع إلى الخيالات السوداء المتشكلة أمامه على الحائط.. يتابع حركتها، ومجيئها وذهابها.. فكأنما في حِراكها حياته، وقصةٌ تُروى وتنحكي، دون أن يقصها عليه أحد..

خياله وذهنه هم الأبطال، في ملحمةٍ لا بداية لها، ولا نهاية، تدور وتجري على الحائط أمامه.. ملحمة لم يعرف غيرها يومًا، ولم يشهد..

فكأنما قيوده هي الغشاء التي يعمي أبصار البشر جميعًا، ويمنعهم من رؤية الطبيعة الحقيقية للكون، وما هو وراء العالم.. وكأن تلك الخيالات المرتسمة أمامه هي حياته المزيفة، التي لم يجرب غيرها يومًا، ولم يشهد.. ولا يتصور حتى وجود ما هو أكثر..

لا يذكر متى بدأ كل هذا، ولا يدري متى ينتهي..

فقط يجلس في مكانه.. يرقب الخيالات وينتظر..

ينتظر، وينتظر وينتظر..

يمر الوقت، وتجري الساعات، ويمضي الزمن.. لا تفقه ما إذا كانت تلك شهورًا، أم ساعات، أم سنين..

يمر، حتى يشعر فجأة للمرة الأولى في سنين عمره التي لا عدد لها، بقيوده تتلاشى!

لا يفهم ما يحدث، ولا يفقه ذهنه له تفسيرًا.. فجأة، لا يجد نفسه مقيدًا.. اللحظة التي انتظرها كثيرًا قد جاءت، وهو لم يكن يتوقعها..

فجأة، صار قادرًا على الحركة.. صار قادرًا على النظر إلى ما هو حوله، والتملي في تفاصيله التي يراها للمرة الأولى.. صار قادرًا على أن ينظر إلى جسده، ويستوعب تفاصيله الحقيقية.. يرى للمرة الأولى المعنى الحقيقي لأن تكون بشرًا..

يحاول أن يتحرك.. أن ينهض.. فلا تقوى عضلاته.. وكيف تقوى وهي لم تجرب الحركة يومًا واحدًا؟!

يحاول ويحاول ويحاول، حتى يستطيع الحركة أخيرًا، ويقوى على النهوض.. على الوقوف..

يتطلع إلى الخيالات المرتسمة أمامه على الحائط.. تلك التي كانت تشكل حياته كلها، وظن أشكالها المستطيلة المتحركة هي الكائنات الحية جمعًا، وتصور أنها كل ما هناك.. هي أبواه وهي أصدقاؤه وأعداؤه، وهي أحباؤه وجيرانه.. هي كل شيء، برغم أنه لم يفهمها قط..

يتملى فيها لبعض الوقت، ويقترب محدقًا، ويحاول لمسها، فلا يلمس سوى الحائط الصخري.. يظن هذا ملمسها، ويحاول أن يمسكها، فتراوغه، وتختفي.. ثم تتشكل من جديد بعدما تراجع مجفلًا أمام المشهد الذي يراه للمرة الأولى.. يلتفت إلى الخلف لأول مرة في حياته، ليفهم..

ويطالع المشهد..

مشهد شعلة النيران الموقدة خلفه، والتي تلقي بظلالها على الحائط، فتتشكل الظلال السوداء، التي شكلت الخيالات التي عدّها ملحمة حياته الكبرى..

ينذهل لمرآها، ولا يستوعب.. لا يستوعب أن حياته التي عاشها كلها ليست سوى محض ظلالٍ ترتسم على حائط صخري، في كهف قديم موحش..

كهف.. نعم.. هذا كهف..

وككل الكهوف، له مخرج بالتأكيد..

ذلك المخرج الذي يتسرب الضياء الذهبي البراق عبره على أفق بصره، فيدعوه للتقدم صوبه، والخطو..

فيخطو ويتقدم صوبه.. يسير في تؤدة وبطء مَن يمر بكل هذا للمرة الأولى في حياته..

يقترب من مخرج الكهف، وتسطع أضواء الحضارة والمدنية في عينيه للمرة الأولى، ولأول مرة يجرب شعور الهواء وهو يتغلف جسده بنسماته الباردة، فينتفض.. الضياء يعمي عيونه، فيغطيها وهو يتقدم، حتى يصير خارج الكهف تمامًا، فيفتحها عن آخرها ليتطلع إلى كل هذا..

يتطلع إلى العالم الحقيقي..

يتطلع إلى الشمس الوهاجة في الأفق، وإلى السماء الزرقاء التي ترسم سقفًا على نهاية له، ولا حدود..

يتطلع إلى الأبنية والأبراج التي تمتد على مرمى البصر.. إلى المركبات الطائرة، والحوامات النفاثة، والبشر الذاهبين والقادمين من كل حدب وصوب..

يشعر بقلبه يخفق في سرعة، ولا يستوعب..

يشعر أن كل هذا فوق قدرته على التحمل، ويلقي ذاك بداخله ذعرًا بالغًا، يستولى على جسده، وترتجف له أطرافه.. كأنه ينظر للمرة الأولى إلى ما هو خلف ستار عالمه، ويرى العالم الأوسع.. يرى الحقيقة أخيرًا..

يراها وتعميه..

لا يقوى على النظر، ويشعر بعبراته تجري على وجنتيه كأنهارٍ جارية تسيل.. ويشعر بقلبه يخفق في قوة متسارعة، كأنه يرى ما لم يُقَدَّر لبشرٍ رؤيته من قبل..

وببطءٍ ينسحب من جديد إلى داخل الكهف.. بخطواتٍ منكسرة يحبو كطفلٍ يجرب شعور المشي للمرة الأولى، ولا يتقنه..

يدلف إلى الداخل، حيث شعلة النار التي ترسم ظلالها على الحائط، وتشكل كل ما يعرفه..

يجلس في موضعه بلا كلمات.. ينظر إلى الحائط ويرقبه، وينتظر القيود من جديد..

ينتظرها لدقائق، تطول إلى ساعات..

ينتظرها، ويرقب الظلال والخيالات في صمت، دون أن يحرك رأسه أو ينظر إلى ما هو غيرها.. تلك هي حياته التي يعرفها، والتي لا يقوى على استيعاب ما هو غيرها..

ثم ببطء، تبدأ القيود في التشكل من جديد..

تتشكل وتحيط بجسده، ولا تترك له موضعًا لحركةٍ أو التفات..

ويشعر هو بضربات قلبه وهي تتباطأ، ورغمًا عنه يبتسم ارتياحًا واطمئنانًا.. فهذا ما يعرفه ويألفه.. لا يقدر على استيعاب معنى ذاك الذي رآه، ولا يملك الرغبة حتى.. عقله مستكين تمامًا للوضع الذي اعتاده منذ جاء إلى الحياة، ولا يرغب في أن يغير من ذاك شيئًا..

وهناك.. في مكانٍ آخر بعيد، يبتسم ذلك الواقف ممسكًا بذاك الجهاز اللوحي الصغير، أمام تلك الشاشة العملاقة التي تنقسم لعشرات، وربما مئات الشاشات الصغيرة..

يبتسم وهو يرى في أحدها مشهد ذاك السجين داخل الكهف الموحش، وشعلة اللهب.. وتتسع ابتسامته أكثر، وهو يرقب باقي الشاشات التي تحوي سجناءً آخرين، مع اختلاف أوضاعهم وأشكالهم..

يضغط على أزار جهازه اللوحي، ويرى العروق الشفافة الدقيقة التي تخترق جسد ذاك المقيد الجالس داخل الكهف، ثم تبدأ في بث الغذاء والسوائل داخل عروقه، لتحفظه حيًا، ثم يتنهد في ارتياح من أزاح حِملًا ثقيلًا من على كاهله..

فهو الآن يعرف إجابة السؤال الأبدي، الذي لأجله بدأ كل تلك التجربة، وخطف كل هؤلاء الأطفال منذ عشرات السنين ليقيدهم في كهوفهم الخاصة ويراقب حيواتهم وهي تمضي أمام عينيه..

كان يأخذهم من المستشفيات بعد ولادتهم مباشرة، ولا يترك خلفه أثرًا في كل مرة سوى كتاب صغير كتبه بنفسه، يدعى (مُعضِلة الكهف)، ويناقش في بضع صفحات معضلة كهف أفلاطون الفلسفية الشهيرة..

بحثت الشرطة عنه كثيرًا بلا جدوى، وذكرته الصحف ووكالات الأخبار في العالم كله، حتى صار أشهر من نارٍ على علم.. وصار لقبه سفاح أفلاطون..

نظرياتٍ عديدة وضعها خبراء علم الجريمة، لمحاولة تفسير دوافعه من خطف هؤلاء الأطفال الرضّع، والغاية التي يسعى لتحقيقها من خلالهم.. كل شيء بداية من خطف الأعضاء، وانتهاء بالسحر والشعوذة.. ولكن أحدًا لم يجسر على أن يتخيل أنه كان يُطَبِق معضلة كهف أفلاطون تلك حرفيًا، على عشرات النماذج البشرية الحقيقية..

دومًا كان مهووسًا بالفكرة، ولا يدري السبب أو يتذكر حتى.. فحياته ودوافعه انتهت منذ زمنٍ بعيد، ولم يعد يهتم بشيءٍ سوى بالغاية العظمى التي يسعى لبلوغها من خلال تجاربه تلك..

الإجابة على السر الأعظم..

ما هو مغزى الحياة والواقع، وهل معرفة حقيقة العالم الذي يحيا فيه الجميع هي نعمة فعلًا، أم أن الجهل يدرأ عن عقولنا أهوالًا لا يتصورها عقل؟!

هل الحياة التي نراها ونحيا فيها لأعوامٍ وسنين هي الغاية، أم أنها جدارنا الصخري الخاص، الذي لا نفقه شيئًا سوى ما ينعكس عليه من ظلالٍ وخيالات؟!

دومًا كان يملك فلسفته الخاصة التي يسعى لإثباتها مهما كان الثمن..

وها هو ذا قد أثبتها أخيرًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 4 -

خطأ في البرنامج

A Glitch in the program

الهواء ساكن.. لا يتحرك..

كل شيء متوقف..

حتى الضباب لا ينقشع..

هل الدبيب الذى تشعر به في صدرك هو قلبك ينبض بعنف؟

ربما هي آخر لحظاتك..

ربما هو الأدرينالين يجري في دمك..

ربما هو شيء ما..

لا تدري قطعًا..

الضربات والدبيب في صدرك يتعالى..

إنه الخوف.. الخوف عندما يتجسد ويصبح له طول وعرض وارتفاع..

الخوف الأولى الوحشي الذي ينتابك من المجهول..

هكذا يكون الخوف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تنظر نحو أخيك..

إنه متجمد..

متجمد في مكانه تمامًا، أزرق الوجه والشفتين كدجاجة في ثلاجتك..

تمد يدك نحوه.. لا يتحرك ولا يتزحزح، كأنه رأى ميدوسا نفسها، ونظر في عينها لتحوله إلى تمثالٍ من الحجر!

الهواء من حولك ساكن، والضباب لا يتحرك ولا ينقشع، كأن الوقت نفسه توقف..

ولكن.. الوقت؟!

الوقت متوقف بالفعل!

لا شيء حولك يتحرك، وحتى الحشائش الصغيرة لا تتمايل، كأن النسيم لا يداعبها ولا يأبه..

تنظر أمامك.. ثمة شيء ما يتحرك هناك.. شخصٌ قادم في اتجاهك من الأفق، ولا يبدو شكله محببًا للنفس..

الدبيب في صدرك يتعالى أكثر ويشتد كأنما هو دقاتٍ على طبول..

إنه يقترب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مصطفى)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 3:28

أقول له:

- «عمر.. دائماً أفكر في أن لديك جينات قاتل أو إرهابى كبير، تنتظر الفرصة المناسبة لتظهر على السطح»..

يضحك..

- «أنا لا أمزح..»

ما زال يضحك..

- «أعرف يا عزيزي، أعرف أنك لا تمزح..»

أنظر له في ضيق، فينظر لى في سخرية..

- «أنا أكثر شرًا من أي ذبابة قتلتها في حياتك..»

- «ليس هذا مضحكًا..»

يسود الصمت لحظات، ويخيم على الغرفة كرؤوس عليها الطير..

- «دعنا من هذا.. إنه مجرد ميراث بعد كل شيء.. لا يستأهل الأمر كل هذا الصداع..»

- «صداع؟!.. أنت محق.. لن نتفق أبدًا..»

أنظر له في صمت..

أخى دومًا كان باردًا.. لا أذكر أنني رأيته يومًا حزينًا على أي شيءٍ في حياته.. لم يحزن حتى على وفاة أبي أو أمي؛ بل بالعكس.. كان دائمًا يبدو وكأنه سعيد

بالنقود التي سيجنيها منهم في الميراث! ولم يكن يخجل حتى من الكلام عن هذا أمامهما، حتى حينما كانا أحياء!

لم نتفق أبدًا أنا وهو على أي شيء.. فطالما كان يراني طفلًا صغيرًا لا يفقه عن الحياة ومصاعبها شيئًا، ولا دور لي فيها سوى أن أجعل حياته جحيمًا.. مصطفى الصغير المدلل الذي يغرق في شبرٍ من الماء..

وحينما تُوفيت أمي، وتلاها أبي بعد فترة من الحسرة عليها، لم يهتم أبدًا بوجوده إلى جواري، ولم يذرف عليهما دمعة واحدة.. لم يهتم بأي شيء سوى بالنقود التى سيجنيها أخيرًا.. ولولا أن القانون كان واضحًا فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالميراث، لما سمح لي حتى بأخذ حقي الشرعي في ثروتهما..

لم يخجل حتى من أن يعبر عن هذا صراحةً.. ولعمري، كنت أرتجف حينما أتصور كم القسوة الذي يختفي داخل قلبه، والذي يمكن أن يصعد في لحظاتٍ إلى السطح.. شرٌ لا مثيل له، لم أره من قبل..

- «شيء يشغل تفكيرك؟!»

يخرجني من شرودي فجأة بسؤاله، فأنتبه.. أزفر في حرارة وأرفع عيني إلى الطريق وأنا أجيبه، قبل أن يفاجئني المشهد القادم..

- «لا. احترس!»

يدوي صوت مكابح السيارة الصارخ، ويمتزج بصوت الارتطام العنيف بمعدنها الذي انبعج إلى الداخل ليصطبغ هو والزجاج الأمامي بلون الدماء، قبل أن يتعالى صوت الجسد الذي يتدحرج على الأرض في عنف، ثم يهمد في مكانه وسط الغبار والدخان، ليرسم صورة الكارثة..

ويسود السكون تمامًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مصطفى)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 3:36

- «لقد قتلته!!»

أنظر لـ (عمر) في ذعر وأنا أحدق في الجثة الهامدة المتكومة على قارعة الطريق..

ينظر لي في رعب، ويلتقط أنفاسه لحظة، قبل أن يجيب:

- «لا بد أن نخفي الجثة!!»

- «هل جننت؟ يجب أن نطلب الإسعاف حالًا! ربما كان حيًا!»

يستدير ليمسك وجهي بين كفيه وهو ينحني ناظرًا في عينيّ مباشرة..

- «مصطفى.. مصطفى.. ركز في كلامي.. إنه ميت بالفعل.. لا أحد ينجو من صدمة كتلك.. ولو جاءت الإسعاف فستصحبها الشرطة.. وحينها ستكون النهاية..»

أحاول أن أتملص من بين كفيه لأنظر للجسد المستلقي بطرف عيني..

- «لا. فيمكننا أن نشرح لهم.. إنه خطأه هو.. ليس خطأنا نحن..»

- «حظٌ طيبٌ في إقناع الضابط بذلك..»

ساد الصمت تمامًا وأنا أنظر إلى وجهه، قبل أن أقول مرتجفًا:

- «يا إلهي!»

ترك وجهي وهو يتراجع إلى الخلف في بطء..

- «بالضبط..»

يستدير، وينظر للجثة على جانب الطريق.. هامدة كخرقة في مطبخ.. كومة من الملابس لا معالم لها.. يتقدم نحو الجسد في تردد، ثم ينحني ليستكشف شكله الغريب..

- «ما هذا؟!»

رجل يبدو كأنما هو جاء لتوه من فيلم خيال علمي أمريكي.. بذلة بيضاء متطورة من مادة لا أعرفها ولكنها أشبه بالمطاط، ممزقة ومتسخة بدمائه التي تنزف من كل مكان في جسده تقريبًا.. يرتدي خوذة صغيرة على وجهه، أشبه بتلك التي يرتديها راكبو الدراجات النارية، إلا أنها تبدو كأنما هي جاءت من المستقبل..

ينظر إلى قدميه.. يرتدي حذاء ضخمًا أشبه بأحذية رواد الفضاء..

يحدق في شكله لحظات، ثم ينحني لينزع الخوذة من على رأسه، ليطالعه الوجه المزرق الذي يبدو كأنما الدماء هربت من عروقه..

أما عن عينيه، فحدث ولا حرج..

عيناه شاخصتان في الأفق.. تلمعان كاللآلئ البيضاء.. ككشافٍ يحدقُ في وجهك.. نظرة يبدو معها كأنه ما زال حيًا، يرمقك باتهام، وينظر إلى ضميرك نفسه!

تمتد يد (عمر) إلى جيبه بسرعة، ويبحث للحظات، فلا يجد شيئًا، اللهم إلا جهازًا صغيرًا ذا شاشة طويلة مشروخة من المنتصف.. لابد أنها تضررت جراء الصدمة.. يحاول تشغيل الجهاز أو فهم ماهيته ولا يفلح، فيحاول البحث في جيوبه الأخرى عله يجد شيئًا..

بينما أنظر أنا إليه غير مستوعب ما يفعله.. هل هو حقًا يفتش جثة شخص قتله منذ دقائق، لم تبرد دماؤه بعد؟!

- «يبدو كأنه ليس من هذا العالم.. على الأغلب لن يفتقده أحد!»

أحدثت عبارته ذعرًا غير مبرر في نفسي، وأنا أرقب منظر الجثة ورداءها الغريب الذي لم أرَ مثله من قبل في حياتي..

أنت تعرف شعور الخوف ذاك، حينما يستولي على عقلك وتصرفاتك، ويلغي كل الأفكار المتعقلة، ليحل محلها بحضوره المُقبِض..

إنه الخوف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(عمر)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 4:54

- «انتهينا أخيرًا..»

أضرب كفيّ ببعضهما لأنفض من عليهما الغبار والتراب، ثم أنظر إلى (مصطفى) في إرهاق بينما يدي تمتد لتمسح العرق من على جبهتي..

(مصطفى) الذي ما زال يحدق في القبر الصغير الذي حفرناه لنواري جثة الرجل، وهو يرتجف كالنساء..

- «سيطر على أعصابك.. لا أحد يعرف بأننا هنا..»

يشير بسبابته المرتجفة إلى القبر الذي تعلوه قبة صغيرة من الرمال والتربة غير المستوية..

- «هو يعرف!!»

أجفف عرقي بكم القميص وأنا أجيبه في هدوء:

- «بالضبط.. وهو ميت الآن..»

لا يرد.. ويواصل التحديق في القبر بلا تعبير على وجهه، فأزفر في ضيق، ثم أحيط كتفه بذراعي..

- «هيا بنا.. لقد حصل على قبر وأخلينا مسؤوليتنا.. فلننظف الدماء من على السيارة، ونخرج من هنا قبل أن يرانا أحد..»

يتعالى صوت المحرك هادرًا، ويتبعه صوت عجلات السيارة المبتعدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مصطفى)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 8:43

- «يجب أن نبحث عن ثغرة قانونية.. لا بد أن هناك واحدة.. نحن لم نفعل شيئًا، ولم نقصد أن يحدث ذاك!»

- «ثغرة قانونية؟! هل تعتقد حقًا أن أحداً سيصدق روايتكما وأنتما المتهمان الوحيدان في جريمة بلا شاهد؟!»

- «لا أظن أننا سنُظلم بالتأكيد لو بادرنا نحن بالاعتراف وسلمنا أنفسنا..»

- «هل أنت مستعدٌ للمخاطرة بحياتك وحريتك مقابل ظنك هذا؟!»

- «لا أعرف..»

- «هذا ما ظننته بالضبط.. نصيحتي لك هي أن تخرس تمامًا ولا تخبر أي مخلوقٍ آخر بما أخبرتني به للتو..»

- «أخرس؟!»

- نعم.. كما سمعت بالضبط.. اخرس تمامًا ولا تتحدث عن الأمر مرة أخرى.. هل ظننت حقًا أنك ستأتي لي بجريمة قتل وإخفاء جثة لتسألني عن مخرج قانوني، وأنني سأجيبك بعقلانية؟!»

- «إذاً فليس لديك مخرج؟!»

- «كلا بالطبع.. يمكنك أن تخرس أو أن تهرب.. لا يوجد حلول أخرى..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(عمر)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 9:12

- «لم يجد مخرجًا؟!»

سألته وأنا أرمقه وهو يخرج من باب غرفة مكتب المحامي، فنظر لي للحظة، قبل أن يغلق الباب خلفه، ثم يستدير وهو يبتلع لعابه ويجيب:

- «لا.. كل ما قاله هو الهرب وإنكار الأمر حتى أمام وجهك في المرآة..»

أزفر في حرارة وأرمقه وهو يحاول السيطرة على أصابع كفه التي ترتجف بوضوح..

- «كف عن الارتعاد هكذا.. قلت لك إنه الآن مدفون في الصحراء.. لم يرنا أحد.. لقد أتيت إلى هنا بناء على رغبتك فقط، بالرغم من أنني كنت أعرف ما سيخبرك به المحامي!»

- «كيف يمكنك أن تكون هادىء الأعصاب هكذا؟! لقد قتلت رجلًا!»

- «لم أكن وحدي يا عزيزي.. أنت كنت بجواري بالضبط، وكنت تساعدني على دفنه في قبرٍ لا يعرف موقعه أحد.. لذا فأنصحك أن تفكر مليًا قبل أن تفتح فمك من جديد..»

أنظر له في دهشة غير مستوعب ما قاله للتو، فبادلته نظرة باردة وأنا أتابع وأنا أنهض من مكاني متجهًا نحو باب المكتب:

- «هيا بنا.. فلنعد إلى الفندق..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(عمر)

السبت 29 مارس 2021

PM 10:46

ولكن الفندق ليس بالضبط أكثر الأماكن راحة في العالم..

في الواقع، لا شيء مريح على الإطلاق، إذا كنت تحمل على كاهلك ذنبًا مثل قتل رجل ودفن جثته في قلب الصحراء لتكون طعامًا للديدان..

يظن (مصطفى) أنني لا أشعر، وأنني ولدت بقلب سفاح، ولكنه لا يعرف أي شيء عما أخفيه بداخلي.. لا يفقه شيئًا عن الصراع الذي يدور في كل لحظة بين القلب والعقل، في جسدٍ لا يتسع لكليهما معًا.. لو لم أكن أملك القدرة

على الهدوء وإخفاء ما يعتمل في نفسي، ومنعه من الصعود للسطح، لجننت حقًا منذ سنينٍ طويلة..

ماذا يعرف هو عن المسئولية أو المشاعر؟! ذلك المدلل الذي كان أبي وأمي دومًا يعاملونه كالملوك، بينما لا يكترثون بمشاعري أو بما أحتاجه.. لم يجرب يومًا الضرب أو السباب الذي اعتدت عليه أنا حتى لم يعد يؤثر فيّ. لم يحتَج يومًا لأن يشرح لهما مرضه، حتى يتمكن من إقناعهما بأنه ليس بخير، وأنه يريد الذهاب لطبيب..

يظن أنهما كانا ملائكة، ولا يعرف حقيقتهما الفعلية.. وربما لن يصدقها حتى لو أخبرته، فهما لم يؤذياه أبدًا.. الحقيقة نسبية بعد كل شيء، فما يحدث لك ليس هو نفسه ما يحدث لغيرك.. المنظور يختلف، ويتغير معه الواقع وما يصدقه عقلك نفسه..

كم من وقتٍ قضاه هو مع أصدقائه يحتفل أو في الملاهي، وقضيته أنا في غرفتي معاقبًا بأن لا أخرج منها طيلة اليوم؟! وبعدها يتهمني أنا بالقسوة.. ترى ماذا سيظن في قرارة نفسه إذا ما أخبرته بكل هذه الحقائق يومًا ما، وبالسبب الحقيقي الذي دفع قلبي لأن يتحول إلى حجرٍ لا يشعر؟!

هل سيصدق؟! هل سيستوعب أن كل ما كان يعتقده ويظنه عني، هو خطأ تمامًا، وأنني في الواقع كنت أحميه وأحمي فكرته عن أبي وأمي طوال هذه السنين، لكي لا يُصدَم، ولا يحدث له ما حدث لي طوال هذه السنين؟!

بالطبع لن يصدق.. وسيتهمني بأنني أحاول أن أزيف صورتهما في عينيه، لأنني ابنٌ عاق.. قلبي قاسٍ ولا أشعر..

من يدري.. لربما كنت أنت نفسك تظنني كذلك، وأنت تقرأ هذه السطور بعينيك، وتمط شفتيك بازدراء تصبه على ذلك الوغد الذي ينكر فضل أبويه.. أنا لا أهتم.. أنا مستعدٌ لأن أكون الشرير في رواية أحدهم، طالما سأحصل على نقودهما..

الحنان الذي لم يغمراني به في حياتهما، سأبتاعه بنقودهما بعد أن صارا جثثًا.. ويا لها من مفارقة..

أنهض من مكاني على السرير، وأفتح باب غرفتي لأخرج إلى الردهة.. أتطلع إليه وهو يجلس في الشرفة، شاخصًا بأنظاره نحو الأفق..

أزفر في حرارة، ثم أتجه نحو باب الغرفة وأرتدي حذائي.. أعصابي مشدودة فعلًا وأوشك على أن أفقد السيطرة عليها لأصرخ كالمجانين.. لهذا فسأنزل لأمشي على الشاطيء قليلًا..

يجب أن أهدأ..

يجب أن لا أفكر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(عمر)

السبت 29 مارس 2021

PM 11:22

البحر..

النسمات التي تداعب وجهك، والأمواج التي تلامس قدميك العاريتين، والرمال التي تتخلل أصابعك وأنت تمشي على الشاطئ بلا هدى..

الأفكار تسبح داخل عقلك كالأمواج في قلب المحيط..

من هو ذاك الذي قتلناه بالضبط؟! ومن أين أتى؟!

أنا لست من نوع السائقين المتهورين الذين لا يعيرون الطريق انتباهًا أثناء القيادة.. أعرف في قرارة نفسي أنني كنت أتابع الطريق بدقة، ولم أحول عيني من عليه سوى لثانية بالضبط.. وفي تلك الثانية، ظهر هو أمام السيارة فجأة كأنما انبثق من العدم.. حرفيًا!

ثم هذا الرداء الغريب الذي كان يرتديه.. لم أر شيئًا مثله من قبل في سنيني القصيرة على الأرض.. كأنما قد أتى من عالمٍ آخر، مختلف عن العالم الذي نحيا فيه تمامًا..

وذلك الجهاز الغريب الذي كان يحمله..

تذكرت الجهاز ذا الشاشة المتشققة، فأخرجته من جيبي لأتأمله مليًا.. يبدو شكله متطورًا جدًا، لا أعرف ماهيته بالضبط، ولا أجسر حتى على التخمين.. هو عبارة عن شاشة واحدة طويلة ممتدة بلا أزرار أو أي علامة تجارية تدلني على صانعه..

قلبته على ظهره لأحاول أن أبحث عن أي علامة تدلني على المغزى منه، أو طريقة يمكنني أن أفتحه لأنظر إلى مكوناته الداخلية، ولكنني لم أجد.. لا توجد حتى أي مسامير تثبت الظهر، فكأنما هو قد صُنِع من لوحٍ واحد من المعدن!

أنظر إلى الحواف.. كلها مصمتة ومتقنة الصنع، لها ملمس انسيابي.. لحظة.. ما هذا؟!

هناك جزءٌ صغير بارز في الجزء العلوي من الحافة اليمنى!

ضغطت عليه لتضيء الشاشة فجأة بألوانٍ باهرة.. بيانات كثيرة تجري عليها، فكأنما هي معالجاتٍ معلوماتية من نوعٍ ما، ولا أفهم أيًا منها على الإطلاق.. ولكن شيئًا واحدًا لفت انتباهي.. التاريخ المكتوب في أعلى الشاشة..

(الرابع والعشرون من نوفمبر، 2794)!

ما معنى هذا بالضبط؟! هل هذا تاريخ؟!

أشعر بضربات قلبي تتعالى، فأرفع عيني لأتلفت حولي لحظات.. شعور عدم الراحة ذاك.. كأن أحدًا يراقبك، ويحدق فيك بعينيه من مكانٍ ما لا تعرفه ولا تفقه وجوده حتى..

ولكن لا أحد هناك حولي على مرمى البصر.. وحدي تمامًا، كقطرة ماء وسط الصحراء.. فأدير عيني مرة أخرى إلى الجهاز وأحاول أن أضغط على الشاشة لأتعامل مع هذه البيانات، ولكنها لا تستجيب.. ثمة رسالة خطأ من نوعٍ ما تظهر على الشاشة، ولا أستطيع قراءتها لأن لغتها مختلفة تمامًا عن أي شيء رأيته في حياتي، برغم أن الحروف إنجليزية واضحة!

هذا الغريب الذي صدمناه بالسيارة ليس من هذا العالم بالتأكيد.. لا شيء في كل هذا الذي حدث يحمل أي قدر من الواقع أو الطبيعية التي نعرفها.. كل هذا فوق طبيعي بالتأكيد!

شعور عدم الراحة هذا.. كأن أحداً ما يرقبني من زاوية غير مرئية..

شيءٌ ما غير مطمئن، كأن شيئًا على وشك أن يحدث، وهو ليس سارًا بالتأكيد..

يجب أن أعود إلى الفندق..

يجب أن نعود إلى القاهرة اليوم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(عمر)

الأحد 30 مارس 2021

AM 12:36

- «لا أفهم! لماذا تريد السفر اليوم؟! ماذا حدث؟!»

لم أُعِره اهتمامًا أو أنظر له حتى، وأنا أرتب الملابس في الحقيبة..

- «لا شيء.. فقط تذكرت أن لديّ موعدًا مهمًا للغاية غدًا في الصباح الباكر.. لهذا يجب أن نعود اليوم..»

لم أنظر له لأرقب التعبير على وجهه، إلا أنني كنت أعرف أنه ينظر لي في حيرة وامتعاض.. يتساءل في قرارة نفسه عن سلامتي العقلية.. ومَن يدري.. ربما كان محقًا..

ربما قد جننت أخيرًا.. لا أعرف بالضبط..

ظل يرقبني للحظات، قبل أن يستدير ويبدأ في جمع أغراضه بدوره.. ولم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن نجد أنفسنا في السيارة من جديد، نقطع الطريق إلى القاهرة..

أجلس صامتًا خلف عجلة القيادة، بينما هو يجلس جواري ويتطلع إلى اللا مكان عبر النافذة.. أسئلة كثيرة تدوي داخل عقله بالتأكيد، ولكنه يعرف أن هذا ليس وقته.. غير أن التجربة التي مر بها من قبل بالتأكيد قد أصابته بعقدة نفسية من الكلام مع أي شخص أثناء القيادة.. لا بد أنه لا يستطيع السيطرة على عضلاته ويود القفز من النافذة رعبًا.. يبدو هذا واضحًا مع نظراته التي يختلسها بين الفينة والأخرى إلى الطريق وإليّ وأنا أقود السيارة ليتأكد من انتباهي..

يظن أنني لا ألحظ نظراته، ولكنه أحمق كالعادة..

أزفر في حرارة، بينما أفكاري تسبح هناك بعيدًا..

هل الأمر سيمر بسلام حقًا؟!

قد بذلت قصارى جهدي لأرسم صورة الواثق أمام (مصطفى).. تعبير اللامبالاة الذي أوشك على أن يصيبه بالجنون ذاك أخذ جزءًا من روحي حتى أتمكن من إتقانه، ولكنه كان ضروريًا.. فلو فقدت عقلي أنا الآخر لما استطعنا تجاوز الأمر.. كان يجب أن أسيطر على أعصابي ورعبي وقتها، وإلا انهار كل شيء..

ولكن الثمن كان جزءًا من روحي نفسها..

لا أعتقد أن شيئًا كهذا سأتمكن من نسيانه في يوم ما.. سيظل يطاردني كل يوم عندما تنغلق عيناي، وسيظل يزورني في أحلامي ليحيلها كوابيس بلا نهاية.. سيظل منظر الجثة الشاخصة في الأفق يختبئ في أعماق روحي كقاعِ بئرٍ بلا قرار..

من هذا الذي صدمناه، وأنهينا حياته على هذه الأرض بهذه البساطة؟! هل كان يملك عائلة أو أطفالًا ينتظرونه؟! هل له صديقٌ أو زوجة يبحثون عنه الآن؟!

لا أعرف.. ولا أظنني سأعرف أبدًا..

وهذا الجهاز الغريب الذي كان يحمله.. لا أعرف من أين جاء، ولا أعتقد إن إجابة اللغز تنتظر.. بعض الأشياء من الأفضل أن تبقى سرًا، ولا يعرفها أحد..

ربما كان الأمر أفضل بهذه الطريقة..

ولكن.. لحظة.. ما هذا الطريق الذي نمشي فيه؟!

أتلفت بنظراتي إلى جانبيّ الطريق لأتأكد من أن عيني لا تخدعني، وتتعالى دقات قلبي في عنف.. هذا ليس طريق القاهرة.. ليس هذا شكله.. الكثبان تحيط بنا من كل جانب، فكأننا نقطع صحراء حقيقية لا شكل لها ولا معالم!

(مصطفى) بدأ يلاحظ بدوره.. يتلفت بعينه إلى ما يحيط بالسيارة، قبل أن يستدير ليسألني:

- «مهلًا.. أين نحن بالضبط؟!»

لم أجبه وأنا أعبث بسبابتي في شاشة السيارة لأفعّل وضع الـ GPS، وأنتظر للحظات حتى يوضح موقعنا بالضبط، إلا أنه قذف الرسالة المقبضة في وجهي..

(خطأ في التشغيل)!

دقات قلبي تتعالى أكثر وأكثر، وتمتزج بصوت محرك السيارة الذي يتعالى في اضطراد بلا سبب، ودواسة البنزين لا تستجيب!

(مصطفى) ينظر لي وملامح الرعب على وجهه، بينما يتعالى صوت المحرك إلى أقصاه، وتتباطأ سرعة السيارة بالتدريج كأن المحرك قد تعطل.. ولكنه لم يتعطل، بل ما زال يعمل، وصوته يتعالى! بالإضافة إلى أن حرارة السيارة شديدة السخونة على غير عادتها.. عداد الحرارة يرتفع إلى نهايته.. كيف هذا؟!

هذه سيارة حديثة.. لا يمكن أن تسخن بمثل ذلك الشكل من تلقاء نفسها!

شيءٌ ما يحدث، وهو لا ينذر بالخير..

أوقفت السيارة على جانب الطريق، وترجلت منها بسرعة لأفتح غطاء المحرك حتى تبرد قليلًا.. الحرارة تتصاعد من المعدن وتلفح وجهي، وكأنها قادمة من أعماق الجحيم ذاته..

أنظر إلى (مصطفى) الذي ترجل من السيارة بدوره ليحدق هناك في الأفق باتجاه الصحراء، فأدير عيناي لأنظر إلى حيث ينظر..

رجل يمشي من بعيد، قادمًا صوبنا في بطء.. يبدو شكله كأنه خرج لتوه من فيلم خيال علمي أمريكي.. بذلة بيضاء متطورة أشبه بما يرتديه رواد الفضاء..

يرتدي خوذة صغيرة على وجهه، أشبه بتلك التي يرتديها راكبو الدراجات النارية، إلا أنها تبدو كأنها جاءت من المستقبل..

يبدو الأمر كما لو أنه ظهر فجأة من قلب العدم، أو هكذا رأيته.. ليس وراءه غير الصحراء.. لا يوجد أي مكان يحتمل أن يخرج منه ليصبح أمامنا بهذه الطريقة!

يسير نحونا بخطوات واسعة بدأت تتسارع، وهو يرفع يده وإصبعه مشيرًا تجاهي دون كلمة واحدة..

أنظر نحو (مصطفى)..

هذا مألوف..

مألوف أكثر من اللازم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مصطفى

الأحد 30 مارس 2021

AM 01:43

أنظر إلى (عمر)..

كيف تغيرت معالم الطريق وكل ما حولنا بهذه الطريقة، وكيف لم نشعر؟!

أين نحن بالضبط، وكيف جئنا إلى هنا من الأساس؟!

ثم لماذا ينبض قلبي بهذه الطريقة، وكأنه يشعر بأن شيئًا ما ليس على ما يرام؟!

شيءٌ ما خارق للطبيعة يحدث.. شيءٌ لم يره بشر من قبل، ولم يجسر على تخيل تفاصيله يومًا.. هذا هو المجهول ذاته..

شعور الخوف ذاك.. الخوف من المجهول هو فطرة بشرية تقبع داخل أعماقنا جميعًا ولا سبيل لتخطيها..

أنت تعرف تلك القشعريرة التي تستولي على ظهرك وأنت تشاهد حشرة غريبة لم ترها من قبل..

تلك البرودة التي تشعر بها تجري على عمودك الفقري عندما تسمع صوتًا خارج غرفتك وأنت تعرف يقينا أنك وحدك..

إنه الخوف.. الخوف عندما يصبح سيدًا، ويحل محل كل ما هو غيره.. الخوف الذي يستولي على قلبك وتفكيرك، ويغلفه بقبضته المقبضة الباردة..

تدور عيناي لأنظر إلى ذلك الرجل القادم من بعيد..

الرجل الذي يبدو كمن خرج لتوه من فيلم خيال علمي أمريكي.. بذلة بيضاء متطورة أشبه بما يرتديه رواد الفضاء.. يرتدي خوذة صغيرة على وجهه، أشبه بتلك التي يرتديها راكبو الدراجات النارية، إلا أنها تبدو وكأنها جاءت من المستقبل..

يبدو الأمر كما لو أنه ظهر فجأة من قلب العدم، أو هكذا رأيته.. ليس وراءه غير الصحراء.. لا يوجد أي مكان محتمل أن يخرج منه ليصبح أمامنا بهذه الطريقة!

كل هذا مألوف بشكل ما..

مألوف أكثر من اللازم..

ثم فجأة، يختفي كل شيء..

كالنقلة بين النور والظلام، تغيرت معالم المشهد ذاته إلى غير رجعة..

يختفي كل شيء حولك، وتتغير معالم المشهد ليصبح كل ما يحيط بك هو السواد والظلام.. كأن الدهر قد انتزعك من مكانك، وألقى بك في غياهب الفضاء، ليبتلعك العدم حرفيًا.. حتى الأرض التي تقف فوقها لا تحمل أي معالم، كأنك تقف على هواءٍ معتم، لا لون له ولا تفاصيل..

لا يوجد أي شيء حولك سوى السواد..

- «عمر.. أين ذهبت؟»

أصرخ، ولا أتلقى إجابة، فأصرخ من جديد:

- «عمر؟!»

صمت.. صمت يثير القشعريرة في عروقك..

ثم يظهر هو أمامي بغتة وكأنه انبثق من العدم! ذلك الرجل الذي يرتدي بذلة رواد الفضاء الغريبة!

تمضي دقائق وهو يقف أمامي مباشرة، يحدق فيّ مِن خلف زجاج خوذته اللامعة، ولا ينطق حرفًا، بينما أتطلع أنا إليه وقد شل الخوف تفكيري وحركتي تمامًا، فصارت عضلاتي متجمدة كالثلوج..

ثم فجأة، يرفع الجهاز اللوحي الصغير الذي كان يحمله ليضغط على شاشته لحظات، ليتغير المشهد حولي مرات عديدة، دون قدرة مني على الفهم!

للحظة يرتسم مشهد الصحراء والكثبان على الموجودات في محيط البصر.. ثم يتحول كل ما حولنا إلى قاع محيط.. الأسماك تسبح حولي في كل مكان، وأشعر بثقل الماء على جسدي، ولكنني أستطيع التنفس دون أي صعوبة..

ضغطات أخرى على اللوح الذي يحمله يتحول بعدها مشهد السماء إلى قطعة من الفضاء والنجوم الساطعة التي تحتل الأفق على مرمى البصر، ويتغير شكل الأرض تحتي إلى تربة رمادية كأنها سطح القمر..

ضربات قلبي تتسارع وتوشك على الانفجار.. لا يفهم عقلي كل ما يراه أمامه، ويوشك على الذوبان.. كأن الستار قد انزاح من أمامه لينكشف من خلفه سر الخلق والكون ذاته.. وهو أكبر وأعظم من الاستيعاب أو التصور!

ثم تدوي الكلمات، ويتردد الصوت في جنبات عقلي، ويكرره الصدى في الأفق:

- «قد فشل البرنامج.. يجب أن نعيد برمجة الخط الزمني بأكمله من جديد.. لا طائل وراء كل هذا الذي تفعله..»

يخفض الرجل ذو بذلة الفضاء يده التي تحمل الجهاز اللوحي، ثم ينتزع الخوذة من على وجهه ليتطلع إليّ بعيونه الثاقبة لحظات، ثم يزفر في حرارة..

- «حظُّك سيءٌ حقًا..»

أحدق فيه دون فهم، وقلبي ينبض في فزع، فيتابع هو بلا اكتراث:

- «هذا السيناريو يعمل دائمًا بلا أي مشاكل.. ولكن الخطأ الأول كان من نصيبك أنت..»

ثم رفع رأسه إلى السماء ليصيح في حدة:

- «وبسبب قرار غير مدروس بإرسال (جاكسون) إلى البرنامج دون أي تنسيق مع فريق المهندسين..»

لا أفهم.. ما هذا الذي يقوله؟! أي فريق مهندسين؟!

يلحظ هو علامات الحيرة على وجهي، فيقول مفسرًا:

- «لا تشغل بالك بكل هذا، ستعود خلال دقائق إلى المحاكاة، ولن تتذكر كل هذا.. (جاكسون) الأحمق دخل إلى البرنامج في موقع غير مدروس، وتسبب في تغيير المصفوفة بأكملها إلى احتمالات جديدة عشوائية..»

ما زلت لا أفهم حرفًا.. وتبدو ملامح الحيرة والذهول على وجهي وأنا أنظر له، فيرفع هو إبهامه إلى الأعلى في مواجهتي ليقول:

- «لا تقلق، كل شيءٍ تحت السيطرة..»

قالها ثم ابتسم في وجهي ابتسامة واسعة، ثم رفع عينه إلى الأعلى ليخاطب العدم نفسه:

- «هل يمكننا أن نعيد تشكيل البرنامج ونعيده إلى نقطة بدء جديدة قبل ظهور (جاكسون) في الخط الزمني للبرنامج؟!»

الصوت الذي يأتي من اللا شيء يتنهد، ثم يأتي من جديد ليتردد صداه في الأفق:

- «الأكواد الخاصة بتشكيل الخلفية الاجتماعية والنفسية لأخيه (عمر) تضررت بسبب تضرر الخط الزمني.. يجب أن نعيد بناءها من جديد بشكلٍ مختلف.. وسنحتاج لتغيير ذكرياته هو أيضًا..»

لم يعد عقلي قادرًا على احتمال كل هذا، فتتهالك سيقاني لأسقط على ركبتي على التربة الرمادية وأنا أرتجف، في حين أن ضوء النجوم يلتمع على الخوذة التي يحملها الرجل الذي يتطلع إليَّ لحظة، ثم يرفع رأسه من جديد مخاطبًا السماء:

- «وكم سيستغرق الأمر؟! إنه في بداية صدمة، وعقله على وشك الدخول في منطقة الخطر..»

من هؤلاء بالضبط، ومن هذا الصوت الذي يتكلم من قلب العدم؟! لا أفهم.. لا أفهم..

الدموع تترقرق في عينيّ، وتسيل على وجنتي لتتساقط على التربة القمرية الرمادية بلا هدف أو سبب.. مشاعر متضاربة تتصارع داخل كياني نفسه، لتزلزله من الداخل وسط ضربات قلبي التي تتصاعد في عنف كأنما هو على وشك التوقف..»

- «انتهينا بالفعل، سأنفذ الكود الآن، ارتدِ الخوذة..»

يدير الرجل عينه إليّ من جديد ويبتسم في إحراج وهو يرفع إبهامه من جديد علامة أنه كل شيء على ما يرام، ثم يرتدي الخوذة في سرعة، ويستدير ليرفع ذراعيه إلى السماء كأنه يدعو..

ثم يخفض ذراعيه فجأة بحركة سريعة، ويختفي كل شيء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(مصطفى)

الجمعة 28 مارس 2021

PM 3:28

أقول له:

- «عمر.. لا أعرف ما الذي كان يمكن أن أفعله لو لم تكن موجودًا جواري خلال كل هذا.. شكرًا لك..»

ينظر لي بطرف عينه مبتسمًا، ثم يربت بكفه على فخذي مطمئنًا..

- «أعرف أن ما أقوله الآن جديدٌ على مسامعك، وأنني لم أعتد إظهار ما أشعر به في أي وقت، ولكن يجب أن تعرف أنني أقدر كل ما تفعله من أجلي.. وبالتأكيد لو كان أبي حيًا ورأى كل ما فعلته، لكان فخورًا..»

تتسع ابتسامته الهادئة المحببة أكثر، وينظر في المرآة للحظة ليتأكد من خلو الطريق جواره، قبل أن يدير عجلة القيادة إلى اليمين ليتفادى ذلك الشخص الذي برز أمامه فجأة من بعيد، وهو يقول:

- «لا داعٍ لكل هذا الذي تقوله، فأنا لست غريبًا.. أنت أخي، وأنا لا أملك سواك الآن فيِ هذا العالم.. أعدك بأنني لن أتركك يومًا لتواجه أي شيءٍ بمفردك.. سأكون موجودًا دومًا..»

أراقب الطريق ويجذب انتباهي الشخص الذي تفاداه بالسيارة، فأستدير بجسدي لأتأمله وهو يبتعد خلفنا.. يرتدي زيًا غريبًا كزي رواد الفضاء..

لسببٍ ما أشعر بأن شكله مألوف.. كأنني رأيته من قبل.. كأنني رأيت هذا المشهد بأكمله من قبل، باختلاف التفاصيل..

يلحظ هو نظرتي إلى الخلف بطرف عينه، فيقول مبتسمًا:

- «ربما يصورون فيلمًا سينمائيًا من نوعٍ ما..»

أنظر له لحظة، ثم أمط شفتي وأنا أعود إلى وضعية جلوسي جواره من جديد، وأقول بلا اكتراث:

- «ربما.. فقط أشعر بأنني رأيته من قبل في مكانٍ ما..»

تتسع ابتسامته أكثر، ثم يمد يده ليلمس شاشة السيارة ليشغل الموسيقى الهادئة، في حين أعدل أنا وضعية الكرسي لأعيد ظهره إلى الخلف، وأسترخي في مكاني واضعًا ظهر راحتي على عيني..

ذلك الرجل..

أعرف أنني رأيته من قبل، ولا أتذكر كيف ولا أين.. ولكن شكله مألوف، كأنه كان جزءًا من ذكرياتي في حياةٍ سابقة.. أو ربما كانت هذه ظاهرة (ديجافو) الشهيرة التي تجعل المرء يظن أنه مر بنفس الحدث من قبل، برغم أنه يراه للمرة الأولى..

لا أعرف بالضبط، ولا أهتم على أي حال.. يجب أن أحظى ببعض النوم..

ما زال الطريق طويلًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 5 -

المعبر

The Crossing

مرحبًا بكم.. اسمي جاكسون فريمان.. رئيس قسم التحرير بجريدة النيويورك تايمز.. أهلًا بكم أعزائي المتدربين..

أرى مشاعركم تنعكس في أعينكم الصافية وأنتم تتطلعون إليّ بفضول، منتظرين ما أنا على وشك أن أحكيه لكم.. لذا فدعونا نبدأ المحاضرة بلا إبطاء..

اليوم هو أخيرًا موعدكم مع قصة تغطيتنا للحدث العالمي المعروف باسم «المعبر The Crossing»..

جميعكم تعرفون الحادثة بشكلٍ أو بآخر، فهي لم تكن بالضبط ما يمكن أن نصفه بالسرية.. لا يوجد شخص على وجه الكوكب لم يشهد ما حدث منذ أقل منذ سنة.. ولكن قليلين للغاية مَن يعرفون ماهيته بالضبط، ودورنا في تغطيته..

لا أعتقد أن هناك بينكم من لم يكن يتابع المسرح السياسي العالمي في السنين الماضية، والذي كان قد وصل لحدود كارثية، لا يتمنى أحدكم أن يراها في أسوأ كوابيسه..

بدأ كل شيء قبل عامين لا أكثر.. زمنٌ قصير لو تأملتم، نظرًا لما كاد يحدث خلاله، وما مر به عالمنا بأكمله.. فحينها، كانت الأخبار قد بدأت تتوافد من كل مكان، عن الاتفاق الروسي المكسيكي على محطة قواعد وبطاريات الصواريخ الجديدة، على حدود الولايات المتحدة، وبدءْ بنائها وتشييدها بالفعل..

لم يكن الأمر مفاجئًا، بل كانت العلاقات السياسية المتدهورة تنذر بحدوثه منذ زمنٍ بعيد.. التوتر السياسي بين أمريكا والمكسيك بسبب أزمة المهاجرين، وإرهاب العصابات الذي تفاقم خلال الخمس سنين الماضية، والتصعيد الشديد بين البيت الأبيض، والكرملين، بسبب الوضع في سوريا..

الساحة السياسية العالمية كانت قد وصلت لمرحلة مسمومة، لا يمكن إصلاحها.. وتحولت إلى حرب حقيقية مصغرة بين أقوى جيوش العالم؛ الجيش الروسي والأمريكي، على الأراضي السورية التي صارت خرابًا شاملًا.. لذلك لم يكن غريبًا أن تتحالف الحكومة الروسية مع الرئيس المكسيكي، لبناء قاعدة عسكرية تضم بطارية صواريخ نووية روسية، بالضبط على الحدود بين

المكسيك والولايات المتحدة.. وهو ما لم يكن من الممكن مطلقًا أن يتساهل معه البيت الأبيض كما تعرفون.. هي مسألة أمن قومي بحتة، ولا بد أنكم تتذكرون أزمة عالمية مشابهة حدثت في الثمانينات، وسميت وقتها بأزمة الصواريخ الكوبية.. كانت تلك تشبه ما مررنا به إلى حد مدهش.. وللحظة، بدا كما لو أن التاريخ ذاته يتكرر من جديد، باختلاف العصر والمسميات..

التصعيد المستمر بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية كان يهدد بحرب عالمية جديدة.. وكان حلفاء كل دولة بالفعل يحاولون حل المشكلة سياسيًا، ولكن شيئًا لم يبدُ مطمئنًا.. العديد من الخبراء والمحللين السياسيين كانوا يرون أن الرئيس الروسي لن يتراجع عن اتفاقه، وأنه لن يكون أمام نظيره الأمريكي سوى القيام بضربة نووية استباقية، أو التهديد جديًا بواحدة على أقل تقدير.. وهو ما كان ينذر بخراب العالم بأكمله.. فالصواريخ النووية ليست قليلة، وليست نادرة.. كل دولة عظمى تمتلكها بشكلٍ أو بآخر.. ولو انطلق واحد منها في أي اتجاه، فلن يهم من البادئ.. سيفنى العالم بأكمله أسرع من قدرتكم على التفوه بكلمة النجدة..

جميع وكالات الأخبار العالمية والمحلية في كل دول العالم لم يكن لها دور أو موضوع تغطيه سوى ذلك الموقف السياسي المتفجر.. ولفترة، بدا كما لو أن العالم بأكمله يقف متفرجًا.. كالمارة الذين يراقبون بفضول الشجار بين بلطجيين في زقاقٍ قذر مزدحم.. لم يكن هناك خبر يتردد على أي وسيلة إعلام مرئية أو مقروءة أو مسموعة في العالم بأسره، إلا وكان مرتبطًا بالأزمة الروسية الأمريكية بشكلٍ أو بآخر..

لذلك فقد كان من المدهش للغاية أن يبدأ خبر ظهور تلك الكرات المعدنية الضخمة في الانتشار على استحياء، وسط كل هذا التوتر..

أنتم تذكرون الاستنكار العالمي الذي صاحب الخبر الأول الذي أعلن عنه من شبكة CNN، وموجة التكذيبات والتعليقات السلبية على مهنية واحترافية الشبكة الإخبارية العريقة، قبل أن تبدأ الصور والنشرات الإخبارية في الظهور، ليتفجر الرأي العام العالمي تمامًا..

وكان هذا مفهومًا جدًا..

فقط تخيلوا معي مشهد تلك الكرات الطائرة، بمعدنها وتكوينها الغريب شديد اللمعان، وهي تنبثق فجأة من العدم.. يكبُر حجمها ويتعاظم، ثم يبدأ في التضاؤل من جديد حتى تتلاشى تمامًا كأنها لم توجد.. لا تتبع قواعد الجاذبية، ولا يبدو عليها أنها تنتمي لنفس الفيزياء الخاصة بنا في الأساس!

شكلها كان يبدو كأنها تنبثق من العدم لتتجسد في عالمنا حرفيًا، وتتشكل من الصفر ليتعاظم حجمها إلى ما يماثل حجم بناية صغيرة، ثم يبدأ في التضاؤل مجددًا حتى يتلاشى كما جاء..

كان يمكن أن نتفهم الأمر ونقبله ونحاول دراسته بتعقل لو كانت حادثة واحدة فردية، لكن أن يتكرر الموضوع مئات المرات يوميًا، وفي كل مدينة في العالم، وحتى فوق المحيطات؟!

نعم.. هذا صحيح.. كانت الأخبار في البداية تنحصر في بريطانيا وإيطاليا، وسواحل المغرب.. وهي كما ترون، أماكن لا علاقة لها ببعضها على الإطلاق..لم يكن هناك خبراء، ولم يستوعب علماء الفيزياء والظواهر الطبيعية الذين أُرسلوا لهذه المواقع أي شيء، وعجزوا تمامًا عن التفسير، وأُغلقت مواقع الأجسام الغريبة باعتبارها مواقع عسكرية محظورة.. لذا حين بدأت الكرات الغريبة في الظهور بعدها بكثافة في كامل مدن العالم، وبأحجام متفاوتة تتراوح بين حجم سيارة صغيرة، إلى حجم الأبراج، لم يكن الأمر مطمئنًا جدًا.. بل كان العكس تمامًا..

تسببت تلك الظاهرة الغريبة في هلع عالمي لم يشهد له الكوكب مثيلًا من قبل.. وللحظة بدا كأن الجميع قد تخلوا عن خلافاتهم وحروبهم، ليتوجه انتباههم نحوها.. وبالطبع لم يترك محبو نظريات المؤامرة ومحللو الظواهر الخارقة الأمر دون أن يستغلوه في إثبات صحة افتراضاتهم.. نهاية العالم، ونهاية الكون، والغزو الفضائي، وكل تلك الأشياء.. أنتم تذكرون كل هذا بوضوح، وتذكرون الفزع الذي استولى على الشوارع، والثورات والمظاهرات وجرائم القتل والسلب والنهب.. تذكرون اقتراب المجتمع ذاته من التداعي والسقوط، لذا فلن أصدع رؤوسكم بالحديث كثيرًا.. لا أحد يحب أن يتذكر تلك الأيام على أي حال..

ما يعنيكم في كل هذا هو سبب وقوفي أمامكم اليوم.. تغطيتنا الخاصة هنا في نيويورك تايمز للجسم المجهول رقم UV-2657 في منطقة سنترال بارك.. تلك التغطية التي أصبحت أشهر تغطية صحفية في التاريخ، والتي أسهمت في تغيير شكل العالم والسياسة الدولية بأكملها بعدها..

إليكم التغطية التي قمت بها أنا جاكسون فريمان يوم السابع والعشرين من أكتوبر، عام 2023..

(صوت الشاشة العملاقة وهي تعمل، والفيديو الحي يرتسم على سطحها)

(صوت الرياح وهي ترتطم بميكروفون الكاميرا الصغيرة، التي يحملها الصحفي، وهو يخطو في حذر فوق الحشائش وبين الأشجار داخل سنترال

بارك، متوجهًا نحو ما يبدو من بعيد ككرة معدنية لامعة)

«مرحبًا.. هنا جاكسون فريمان، أغطي تغطية حصرية ظهور أحد الأجسام الغامضة في منطقة سنترال بارك، جوار مانهاتن..»

(الصحفي يدير الكاميرا ليصور معالم المنطقة المحيطة)

«المنطقة غير مغلقة وغير محظورة، ولا يطوقها أي نطاق أمني على مرمى البصر.. لذلك فما أفعله الآن لا يعد خرقًا للقانون.. أردت فقط توثيق ذلك هنا للمستقبل.. أنا الآن أقترب مما يبدو ككرة معدنية طائرة في وضع الثبات، على ارتفاع مترين تقريبًا من الأرض..»

(صوت أنفاس الصحفى تتعالى، تُظهر توتره الشديد، وهو يقترب من الكرة اللامعة التي تتبدى عبر الكادر، ويبدو منظرها أشبه بمشهد من داخل فيلم خيال علمي، كأنها رُسمت بالجرافيك)

«ما ألحظه للمرة الأولى هو أن الكرة غير ساكنة تمامًا، بل تبدو كأنها تدور في مكانها.. تتحرك بشكلٍ ما لا أقدر على استيعابه تمامًا.. بالإضافة إلى أن سطحها ليس هادئًا، بل يمتلئ بتموجات بسيطة غير ظاهرة للعيان.. سأقرب الكاميرا أكثر..»

(مشهد الكرة اللامعة يحتل الكادر بأكمله.. تبدو أنها تملك أبعادًا غير واضحة، ويتبدى التموج الهادئ في سطحها بوضوح)

«لحظة.. لا أعتقد أن هذا معدن.. هل هذا..»

(كف الصحفي يمتد عبر الكادر، إلى سطح الكرة)

«هل هذا ماء؟!!»

(منظر كف الصحفي يظهر على الكادر، وهو يغوص داخل الكرة، وأنفاسه المتوترة تتعالى وهو يرتجف للحظة، قبل أن يجذب كفه للخارج منتفضًا، ويركز كادر الكاميرا نحوه)

«يا إلهي.. هي مياهٌ بالفعل! ولكنها لا تشبه أي مياه رأيتها من قبل!»

(مشهد القطرات الصغيرة الغريبة وهي تسيل على كف وذراع الصحفي بطريقة مستحيلة فيزيائيًا، لا تترك خلفها أي أثر، وتتلاشى فور سقوطها)

«لا أفهم! لا أفهم ماهيتها بالضبط.. ولكنها باردة كالثلوج..»

(ذلك الظل الغريب يحتل الكادر بغتة، ويتعاظم حجمه بطريقة مرعبة وهو يتشكل من مصدره الذي يقع خلف مجال الكاميرا فيغلف الموجودات سوادًا..

الصحفي ينتبه، ويلتفت وهو يدير الكاميرا إلى الخلف ليلتقط المشهد، ثم يشهق في رعب وهو يتراجع، وتتعثر قدمه ليسقط وتسقط الكاميرا جواره، لترتطم بالأرض وتنقلب حتى تستقر في وضع مائل ينقل مشهدًا مخيفًا لتلك الأقدام السوداء القاتمة العملاقة التي تمتد بطول السماء، وتقف أمام الكادر بالضبط).

«ما هذا؟!»

(الكاميرا تنقل مشهد الأقدام السوداء القاتمة من مكانها على الأرض، ثم يمسكها الصحفي ويرفعها من الأرض ليسلطها على السماء، فيتبدى في وضوح منظرها وهي تمتد حتى سقف السماء ذاته، بلا نهاية لها على مرمى البصر)

«أعتقد أنني أُخرف.. هل ترون هذا؟!»

(هنا يبدأ مشهد الأقدام المظلمة التي ظهرت فجأة من العدم، في التضاؤل بسرعة لا يمكن استيعابها، حتى يبلغ حجمها الحجم الطبيعي، ويتبدى مشهد الجسد الموجود فوقها، والرأس والذراعان.. جسد كامل أسود كظلام ليلة بلا قمر.. يقف في مكانه بثبات، ثم يبدأ الصوت في التصاعد، ليزلزل ميكروفون الكاميرا، وسماعات القاعة التي تنقل الصورة للحاضرين)

«مرحبًا بكم معشر البشر.. ما أفعله الآن صعب، وإبقاؤه متوازنًا أكثر صعوبة، لذا سأنقل لكم رسالتي بأسرع ما يمكن..

اسمي لن أقوله لأنه لا يمكنكم استيعابه أو استيعاب طريقة نطقه.. وشكلي ليس هذا الذي ترونه، لأن شكلي الحقيقي لا يقدر عقلكم على استيعاب وجوده.. هذا هو ظلي في عالمي الحقيقي، الذي يرسم شكلًا قابلًا للفهم والتمييز بالنسبة لكم..

أنا جزء من جنس كامل من الكائنات التي تحيا في بعد علوي رابع، لا تقدرون أنتم على استيعابه، ولا تفقه وجوده حواسكم.. نراكم من بعدنا الرابع كما لا يتخيل أحدكم.. نرى أجسادكم، ونرى ما هو بداخلها في نفس الوقت.. ذلك لأن أجسادنا وحواسنا تتكون من أبعاد أربعة، وليس ثلاثة فقط مثلكم..

أنتم ومكونات عالمكم تتألف من طول وعرض وارتفاع.. نحن مثلكم، ولكننا نملك بعدًا رابعًا لن تقدرون على فهمه، ولن أستطيع أنا شرحه.. يكفي أن أقول إنه يتعلق بالزمن، وبعمر الأشياء والأجسام.. يمكنكم تسميته في لغتكم بالقِدَم Oldness.. الأبعاد بالنسبة لنا هي طول وعرض وارتفاع، وقِدَم أو حداثة..

أحجامنا أيضًا لا تستطيعون استيعابها، وربما كان الواحد منا فقط بحجم كوكبكم بأكمله.. نحيا خارج البعد الذي يمكنكم رؤيته أو استيعابه.. وظلنا يرسم الظلام الذي تعرفونه في الفضاء الذي يقع خارج كوكبكم، ويشكل المسافات بينه وبين الكواكب الأخرى.. يمكنكم التفكير في الأمر على أن الفضاء المظلم هو ذاته نحن.. ولكن في صورة مظلمة لا تستطيعون رؤيتها، لأنها تتكون من أبعاد إضافية علوية لا تستطيع عيونكم وعقولكم استيعاب تكوينها أو اتجاهها..

يمكنني تقريب الأمر لعقولكم بمقارنته بالعوالم المسطحة ثنائية الأبعاد، كالورقة مثلًا.. تلك العوالم لا تملك سوى بعدين فقط هما الطول والعرض.. لا وجود للارتفاع في عالمهم.. ولذلك فلو كانت هناك كائنات تحيا فيها، فإن حياتهم بأكملها وأشكالهم كلها ستكون مسطحة.. لن يمكنهم النظر سوى أفقيًا، وليس رأسيًا.. سيتمكنون من النظر فقط إلى اليمين أو اليسار أو الأمام أو الخلف.. ولكن لن يمكنهم النظر إلى الأعلى، ببساطة لأنه لا وجود له في عالمهم.. لذلك فالتواصل مع كائنات مثل تلك، يجب أن يكون بطريقة يمكنها إلغاء واحد من الأبعاد التي لن يستطيعون استيعابها، واتخاذ شكلًا وهميًا يمكن لهم رؤيته.. كالظل مثلًا.. لو وقف أحدكم أمام مصدر ضوئي، وحرك يده أمامه، فإن ظل يده سيرتسم بشكل ثنائي الأبعاد على تلك الورقة.. وحينها ستتمكن تلك الكائنات من النظر إليه واستيعابه.. لأنه يقع في محيطها.. لأنه يتكون من بعدين فقط..

وبالمثل، فإن البعد الرابع الذي أحدثكم أنا منه، لا تستطيعون أنتم النظر إليه، لأنه لا وجود له في عالمكم..

هو بعد زمني بحت..

ولكي أستطيع التشكل لكم الآن، كان يجب أن أتبع نفس الطريقة، ولكن بشكل لن يستوعبه خيالكم جيدًا.. يكفي أن أقول إن ما ترونه الآن هو أشبه بظلي في عالمكم..

ظل أي كائن رباعي الأبعاد، يكون ثلاثي الأبعاد.. بالضبط كمثل كون ظل أي كائن ثلاثي الأبعاد، هو ثنائي الأبعاد..

تلك الكرات اللامعة التي ترونها في عالمكم، ليست كرات عادية.. بل هي ظلال لكرات رباعية الأبعاد في عالمي أنا، تتجسد بشكل ثلاثي الأبعاد في عالمكم.. تطلقون على تلك الأشكال اسم (الكرات Spheres)، ونسميها نحن (الجلومات Glomes)..

ما ترونه أمامكم في كل مكانٍ في عالمكم، هو ليس أكثر من قطرات مياه طبيعية قادمة من عالمي أنا.. في عالمكم، هي كرات من مياه ذات قواعد فيزيائية مختلفة.. وفي عالمي، هي جلومات من المياه التي أشربها كل يوم..

أما عن سبب وجودها في عالمكم، فهو لأنني سكبتها على الكوكب بأكمله.. لا تنسوا أن حجم عالمي يجعل حجم كوكبكم أشبه بحجم غرفة صغيرة بالنسبة لنا.. وبسبب أنها لا يمكنها التشكل أو الوجود في عالمكم بشكل فيزيائي حقيقي، فهي فقط تعبر من خلاله.. وبعبورها ذاك، فهي تظهر فجأة، ويتعاظم حجمها، ثم يصغر من جديد حتى يتلاشى..

يمكنكم تقريب الأمر لذهنكم، بتخيل كرة طبيعية في عالمكم، تعبر من خلال ورقة.. في البدء سيلمس سطحها الخارجي عالم الورقة، لتتشكل عليها نقطة صغيرة هي نقطة التلامس.. ثم سيبدأ حجم النقطة في التوسع مع مرور الكرة عبر الورقة، حتى يصبح دائرة ذات قطرٍ طويل.. وبعدها يبدأ في التضاؤل من جديد حتى يعود حجمه إلى نفس النقطة، ويتلاشى كما جاء..

أعرف أن الأمر صعبٌ على فهمكم، وأعرف أنكم ستمضون من سنينكم القصيرة دهورًا حتى يمكنكم دراسته واستيعابه، ولكنني لا أملك من الوقت متسعًا لأواصل الشرح، فأنا أشعر بظلي في عالمكم ينهار، ولن أقدر على إبقائه في حالة الثبات طويلًا..

سبب وجود قطرات الماء تلك في عالمكم، هي لجذب انتباهكم إليها، وإليّ.. توحيدكم في الاستماع إلى ما سأقوله.. لم أجد طريقة أخرى أكثر بساطة من هذا..

قلت لكم من قبل إن عالمي يحوي بعدًا زمنيًا.. وما يعنيه هذا هو أنه يمكنني أنا وباقي مخلوقات جنسي رؤية خط الزمن بأكمله في عالمكم أنتم فقط.. من بدايته إلى نهايته.. فالزمن بالنسبة إليكم غير مرئي أو محسوس، ولكنه بالنسبة لنا أشبه بالنظر إلى خط يرتسم على ورقة.. يمكننا رؤية بدايته ونهايته، وكل ما بينهما..

ولذلك فقد جئت لأحذركم..

عالمكم يقترب من كارثة شاملة، ستتسببون فيها جميعًا بغبائكم وحروبكم مع بعضكم.. تلك القنابل والصواريخ النووية التي تتفاخرون بها، ستكون سبب فناء كوكبكم بأكمله، ولن يتبقى عليه أي حياة سوى الحشرات..

لكن يمكنكم تغيير ذلك..

ما دام الحدث لم يقع بعد، فبإمكانكم تغييره، كمثل الخروج عن خط الزمن الذي افترضناه، ورسم خط جديد يتقاطع معه في نقطة تحول..

يمكنكم فعلها.. السلام ليس بعيدًا.. وليس صعبًا.. ولو لم تستطيعوا الوصول إليه بعد رؤيتي، وبعد رسالتي تلك، وبرغم كل ما قلته، فأنتم في مأزق حقًا..

هذا هو تحذيري الأخير.. فلو تمكنتم من العمل به، والنجاة؛ فلربما نلتقي مرة أخرى..»

(فجأة، تتلاشى الأقدام المظلمة الهائلة من أمام الكاميرا، كأنما لم تكن.. ويسود الصمت في القاعة، ولا يتكلم الصحفي داخل الفيديو مطلقًا تحت تأثير الذهول والصدمة)

(يضغط جاكسون على زر الريموت كنترول، فيتوقف عرض المشهد)

كما رأيتم.. هذا المقطع كان سببًا في نهاية الكارثة العالمية بين روسيا والولايات، وهو السبب في كل ما يدور الآن في المجتمع العلمي البشري.. سبب نهاية الحروب بأكملها، ومبادرات منظمة الأمم المتحدة لنزع الأسلحة النووية بأكملها من الدول الكبرى بلا تفرقة.. فقد رأى العالم بأكمله ذاك الذي حدث، وتأكدوا جميعًا أنه حقيقيٌ فعلًا، وليس مزاحًا أو خدعة بصرية من نوعٍ ما.. كل هذا حدث بالفعل.. لم يكن هناك مجالٌ للشك في ما قاله ذاك الظلّ الذي لا اسم له..

بعض الدارسين والباحثين في جامعة ستانفورد تذكروا شيئًا مماثلًا عن عالم فيزياء اختفى بلا أثر منذ فترة، وترك خلفه بعض المذكرات والخواطر التي كانت تحكي عن أنه وجد بعدًا رابعًا تحيا فيه كائنات أخرى غيرنا، وأنها ترانا من حيث لا نفقه.. وقتها كان الجميع يظنون أنها ليست سوى تخاريف من شخص مخبول، ولكن الآن يتضح أنه كان يعرف شيئًا ما بالفعل.. ([1])

صحيح أنه لم يمر من الزمنِ دهرًا بعد، وأنه ما زال أمامنا الكثير في طريق السلام، ولكن هل يمكن أن نَراه مرة أخرى؟

ما الذي يريده بالضبط، وما هو دافعه لتحذيرنا من المستقبل؟ ما النفع الذي يمكن أن يعود عليه من هذا؟

ربما نعرف يومًا ما..

(نهاية المحاضرة)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

- 6 -

HV-53

«أتذكر يومًا ما.. حينما كان اليابس أخضر فعلًا.. والبحار زرقاء.. وقت أن كان الأفق جميلًا فعلًا، قبل أن تموت المحيطات، ويذهب العالم معها..

كان هذا قبل أن تولد أنت بالطبع.. قبل أن يكون هناك من سُمي باسمك في الأذهان..

وقتها، كان العلماء يخشون ما يسمى بالاحتباس الحراري! هؤلاء الحمقى.. لم يكونوا يملكون أي بصيرة..

مازلت أذكر كعشائي البارحة هؤلاء العلماء الذين وصلوا لفكرة بكتيريا HV - 53..

تلك البكتيريا التي قالوا عنها إنها تزيل الكربون من الهواء، وتتغذى عليه، وتستعمله في التكاثر لتتغذى على المزيد..

بدايةً، كانت فكرة عملها هي نفس دورة حياة النباتات.. تتغذى على الكربون وتنتج الأكسجين.. إلا أنها لم تكن تنتج أكسجين، بل كان الغرض منها في الأساس هو التغلب على مشكلات الطاقة العالمية.. فهي كانت تمتص الكربون وتحوله لنوع من البترول من خلال عملية كيميائية معينة، توصلوا إليها بعد تعديلها وراثيًا وجينيًا كما جرت العادة..

وقتها، حينما كانت هناك ما تسمى بالولايات المتحدة الأمريكية، كانت الأبحاث الخاصة بها تجري بشكل حصري داخل وكالة ناسا لأبحاث الفضاء، ومركز كالتك للأبحاث في كاليفورنيا.. لكون أهميتها نابعة من محور القضاء على ظاهرة الاحتباس الحراري، وحل مشكلة الوقود العالمية في نفس الوقت.. كانت الأبحاث في البداية تجري بشكل سري، ثم مع بداية نجاحها وتخليق أول نوع من البكتيريا معدل بشكل ثابت وفعال، أعلن عنها في محافل التكنولوجيا والعلوم العالمية.. وفاز صاحب الفكرة وفريق المهندسين العاملين معه بجائزة نوبل.. كانت كل أبحاثهم التي توصلوا إليها في مرحلة بدائية، لكنهم كما قالوا؛ كانوا طموحين للوصول لشوطٍ جيد وبدء الاستعمال على مستوى عالمي خلال عقد من الزمن..

مازلت أذكر اسمه حتى هذه اللحظة.. دكتور مصطفى الشريف.. هذا هو الاسم الذي بدأ كل شيء.. العالم المصري الأمريكي بوكالة ناسا لأبحاث الفضاء..

مازلت أذكر كيف بدأ الاحتباس الحراري في الزيادة، حتى صار حدوث الكوارث العالمية الناتجة عن ذوبان جليد القطبين شيئًا معتادًا.. سواحل كندا وأمريكا، وكوارث اليابان وأستراليا.. حتى صار حل المشكلة أمرًا لا بد منه.. وحينها بدأت المظاهرات..

مظاهرات ضد وكالة ناسا، قام بها المواطنون، وتصدت لها الشرطة الأمريكية بالعنف كما جرت العادة، حتى خرجت الأمور عن السيطرة، واشتبك المتظاهرون مع الشرطة وفرق التدخل السريع، وسقط عدد هائل من الضحايا.. وظلت الأمور تتداعى حتى اقتحم الثوار المعامل ليسرقوا البكتيريا!

تبًا للتجهيزات والاختبارات والتأكيدات وكل هذا الهراء.. فليذهب هؤلاء العلماء العجائز للجحيم.. نحن نحتاج إلى حل، ونحتاجه الآن.. وكأن تلك الجموع هي ببغاء كبير عقله في هتافاته.. لا تفكير هنالك..

مازلت أذكر تحذيرات وكالة الأمن القومي NSA والمباحث الفيدرالية FBI، وكل وكالة أبحاث علمية وأمنية في العالم.. تلك التحذيرات التي لم يبال بها أحد وهم يطلقون البكتيريا في الهواء فوق الهضبة المكسيكية، في مشهدٍ صورته عدسات كل وكالة إخبارية في العالم..

وحينها بدأت الكارثة..

لم يمض الكثير من الوقت حتى أضحت الهضبة المكسيكية بأكملها، وأجزاء من كاليفورنيا مغطاة بالبقايا البترولية السوداء اللزجة.. داخل المحيط ذاته.. الأسماك تموت بالآلاف.. ثم بالملايين.. الحيتان نفسها تطفو على السطح.. السلاحف والطيور.. النباتات ذاتها.. كل شيء هناك كان يموت كأنما رأى الشيطان.. تلك البكتيريا كانت تؤدي عملها بكفاءة منقطعة النظير، وقضت على الاحتباس الحراري فعلًا، ولكنّ مخلفاتها قضت على المستقبل ذاته..

لم تكن هناك أي طريقة معروفة لإيقاف العملية.. تكاثرها كان أسرع من أي خطوة يمكن أن تتخذها أي حكومة عالمية لإيقافها..

ظلت عملية التكاثر جارية، وظلت البكتيريا تتغذى على الكربون، ثم تصنع بكتيريا جديدة لتتغذى بدورها على الكربون.. في اليابس والأخضر، وفي الجو والمحيط.. في الهواء ذاته، وفي الأعماق.. أنت تعلم يا صغيري أن المحيطات كلها كانت في الواقع محيطًا واحدًا كبيرًا.. ولكنه لم يعُد كذلك.. أضحى عبارة عن سطح واحد كبير أسود ولزج.. وحينها فقط أدركنا مدى أهمية المحيطات.. حينما بدأت الثروة الحيوانية والنباتية ذاتها في الفناء.. في كل بلاد العالم..

سقطت الدول والحكومات والمنظمات السياسية العالمية.. سقط الاقتصاد والبنوك والبورصة وانتهت التجارة.. سقطت الجيوش ذاتها.. لم يعد هناك أي

شيء باق.. لا حيوانات ولا محاصيل ولا غذاء.. لم يعد هناك سوى أنواع غريبة من النباتات، تكيفت على العيش في تلك الظروف البيئية.. وتعلم البشر استهلاكها غذائيًا حتى يتمكنوا من المواصلة..

انتهى الكربون تمامًا من الهواء وصار نقيًا، إلا أن العالم -لسببٍ ما- كان مصرًا على أن يموت رغم كل شيء.. ببطء وقسوة، يطبق على روحك ذاتها بلا مجالٍ للفرار..

وهكذا جئت أنت إلى هذا العالم.. جئت لترقب مشهد تلك الشمس التي تخبو في الأفق رويدًا.. تراها خافتة لم تعد تقوى على تطهير الكوكب وحفظ طبيعته.. لم يعد هناك أي شيء قادر على إنقاذه..

المدن والدول والبحار والمحيطات ذاتها صارت شيئًا منسيًا.. صار كل ما هناك هو الخراب، والبقايا السوداء اللزجة.. حتى السماء صارت داكنة، وغدا اللون الأزرق الصافي حلمًا لن يعود..

أعرف أن فكرة مجيئك للعالم، فقط كي تشهد غروبه هي فكرة قاسية فعلًا.. أن تأتي للحياة، فقط كي تفارقها.. توهب الروح، فقط لينتزعها الموت منك دون أن تجرب العيش يومًا واحدًا..

لن ترى الشروق مرة أخرى.. لن تقود سيارة غالية.. لن تركب طائرة وتشاهد سقف العالم.. لن تلمس فتاة، ولن تقبل شفتيها يومًا.. كل هذا لن تجربه.. أنت هنا لتموت.. فقط.. لا شيء آخر تحلم به، ولا مستقبل سوى القليل الذي ينتظرك في جوف العالم ذاته..

ما زال هناك بعض الوقت يا صغيري..

لا تخف..

ما زال هناك بعض الوقت..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 7 -

اليومُ الأخير على الأرض

The last day on earth

البرد..

الشارع المهجور تمامًا.. الأتربة على الأرض، والغبار الذي يمتزج بالضباب الكثيف، فتشعر به ثقيلًا على روحك..

النباتات والغصون التي تزحف على الطُرُق، والأبنية، كالوحشية البدائية، تزحف على الحضارة ذاتها..

كمستقبلٍ مجهول، يستولي على ماضٍ لا يزول..

وهي هناك، تركض في خفة ويدوي صوت خطواتها في وسط الشارع رنانًا، بينما هي تتخفى خلف السيارات، حاملةً تلك الطفلة الصغيرة التي تتلفت حولها متوجسة ودموع الفزع تترقرق في عينيها..

ملابسها المتسخة الممزقة، وذلك السكين الكبير الذي يتدلى من حزامها.. الحقيبة الصغيرة التي تحيط بعنقها وكتفها، تبدو منتفخة بشكل غير طبيعي.. معبأة بما يزيد على قدرتها على الاحتواء.. لابد أن هذا طعام للصغيرة..

التوجس والتوتر يبدو جليًا على حركات جسدها، وأصابعها المرتجفة التي تنقل شعورها للطفلة، فترتجف بدورها..

ثم يدوي صوت الصراخ المريع من خلفها لينتفض جسدها بأكمله فزعًا وهي تنحني بحركة سريعة، وتلقي بجسدها لتختبئ خلف تلك السيارة المحترقة..

ورغمًا عنها تتذكر بداية كل هذا..

تتذكر ذلك اليوم الذي أضاءت فيه السماء بألوان الشفق القطبي في كل مكان على الكوكب تقريبًا، قبل أن تنفجر كل الأجهزة الإلكترونية وشبكات الكهرباء في آنٍ واحد، أو تتوقف تمامًا عن العمل ليتصاعد الدخان منها..

في البداية، لم يفهم الناس ما يحدث بالضبط، وظنوا الأمر لا يتعدى كونه عطلًا بسيطًا في شبكة الكهرباء، وانتظروا أن يُحل.. انتظروا أيامًا عديدة، تحولت بعدها إلى شهور طويلة دون أي خبر عن عودة الكهرباء من جديد.. كل الأجهزة الإلكترونية التي كان الناس يمتلكونها في المدينة بأكملها كانت معطلة أو تالفة أو مدمرة تمامًا.. وحتى السيارات نفسها لم تعد تعمل.. ولم يكن هناك من يفهم لماذا.. ولكن الحقيقة -ببطء- كانت تتضح وترسم صورة لم يتخيلها أحدهم في أبشع كوابيسهم..

الحقيقة التي كان بعض المتخصصين العاملين بالجامعات العلمية في المناطق المحيطة يرددونها في كل مكان.. شيءٌ ما يتعلق بما سموه بالعاصفة الشمسية أو العاصفة المغناطيسية.. ولكن الناس لم يستوعبوا وقتها ما كانوا يقولونه، ولا ماهية تلك العاصفة الشمسية بالضبط إلا بعد فوات الأوان.. فحينها كان المجتمع بأكمله قد سقط بالفعل..

وليس في القاهرة فقط.. بل في العالم بأكمله!

ما عرفوه فيما بعد بطريقة التناقل الشفهي للأخبار، لأنه لم تعد هناك أجهزة اتصال تلفاز أو إنترنت أو هواتف؛ هو أن الشمس مرت بمرحلة نشاط فلكي مفاجئة في إحدى البقع الداكنة الموجودة على سطحها، أو التي يسمونها (Sun Spots)، أدت لحدوث انفجار هائل على سطح الشمس لم ير التاريخ له مثيلًا من قبل، ضرب الأرض بأكملها بسيل من الجسيمات الذرية الممغنطة التي كانت كافية لتدمير شبكات الطاقة والكهرباء والأقمار الصناعية، وكل الأجهزة الحديثة التي تعمل بالكهرباء..

عاصفة شمسية واحدة أقوى من أي شيء عرفه الكوكب على مر التاريخ، تسببت في تدمير أكثر من ثلاثة أرباع المجال المغناطيسي الذي يحمي الكوكب بأكمله من الإشعاعات الكونية الضارة، وتركت سيولًا لا نهاية لها من الجسيمات الكهرومغناطيسية عالية الطاقة تعبر إلى السطح، لتنسف في طريقها كل صور التكنولوجيا الحديثة، وتعيد الجنس البشري بأكمله إلى القرون الوسطى وعصور الظلام..

لم يعد هناك هواتف أو وسائل اتصال فورية.. لم تعد هناك شبكة إنترنت.. لم يعد هناك أنظمة GPS أو أقمار صناعية أو قطارات أو سيارات أو طائرات.. لم يعد هناك أجهزة راديو أو حتى تليغراف..

وحينها فقط، اكتشف الناس خطورة ما أوصلتهم إياه قرون من التطور العلمي، أدت لأن يعتمدوا على التكنولوجيا الحديثة في كل شيء.. اكتشفوا مدى فداحة الكارثة حينما سقط النظام العالمي والاجتماعي بأكمله بشكل لم يجسر حتى أعتى كتاب الخيال العلمي والديستوبيا على تصوره..

لا كهرباء أو تكنولوجيا؟! إذًا لا توجد أجهزة حواسيب أو خوادم مركزية.. لا بنوك أو مؤسسات تجارية أو مالية.. فكلها تعتمد على التكنولوجيا الحديثة لتنظيم النقد والاقتصاد العالمي الذي سقط بدوره، فلم يعد صالحًا حتى لإعادة إصلاح شبكات الطاقة من جديد!

لا كهرباء؟! إذًا لا أنظمة قانونية ولا أجهزة شرطة أو جيوش قومية نظامية.. فكيف سيتواصلون مع بعضهم أو مع قياداتهم دون أجهزة اتصال أو شبكات

إنترنت أو راديو؟!

لم يكن العامة من الناس حتى يعرفون ما يحدث حولهم في العالم بالضبط، فلم تكن هناك طريقة للتواصل مع العامة لإخبارهم بمدى فداحة الكارثة.. بل كان الجميع يكتشفونها ببطء، وسط مشاهد العنف التي بدأت في الاندلاع في كل مكان، حينما بدأ المجتمع نفسه في التداعي والسقوط..

لم تعد السجون قادرة على إبقاء نزلائها بالداخل.. ولم تكن هناك حتى وسائل لحفظ حياتهم بعد أن تركها الضباط.. وحتى المستشفيات ذاتها سقطت، فلم يعد هناك وسائل إعاشة أو علاجات طبية حديثة، ولم يعد الأطباء قادرين على التعامل مع الحالات التي لا حصر لها.. فتركوا كل شيء، وذهبوا إلى عائلاتهم..

لذا فقد خرج المرضى من مستشفياتهم، والمساجين من معتقلاتهم؛ وعادوا إلى الشارع ليستقبلهم مشهد الفوضى في كل مكان.. الأجهزة الكهربية وأعمدة الإنارة وشاشات العرض والإعلانات المتفجرة، والسيارات المحترقة المحطمة بسبب الحوادث..

حاول الناس الصمود بعض الوقت، وكانت الأيام الأولى فعلًا محتملة، حينما كان الجميع يساعدون بعضهم على النجاة، ويتقاسمون الطعام والمؤن.. ولكن حينما بدأ مخزون الطعام في التناقص، وأصبحت المؤن الأساسية شحيحة ونادرة كالذهب، بدأت الأوضاع في التداعي، والنفوس في التوحش والقتال على الفتات..

كان هذا في البداية، قبل أن يصبح الطعام شحيحًا أكثر، والمؤن نادرة أكثر، ليتحول العالم بأكمله إلى غابة حقيقية لا سلطة فيها ولا قانون.. الكل يفعل ما يريده وقتما يريد، بلا رادع أو حساب.. وحينها ظهر أخيرًا الوجه الحقيقي لبني البشر.. الوجه الوحشي الحيواني الذي يمكنه أن يفعل أي شيء ويرتكب أي جريمة من أجل أن ينجو ويجد الطعام والشراب حتى يتمكن من الحياة ليومٍ آخر..

انتشرت العصابات وقطاع الطرق في الشوارع، ليهاجموا محلات الأسلحة والأسواق التجارية، ويسرقوا كل ما يمكن أن تقع عليه أيديهم من أطعمة أو معلبات أو سلاح.. ولم تفلح الشرطة في التصدي لهم بأعدادهم الضئيلة وأسلحتهم البالية القديمة.. الأعداد كانت غفيرة حقًا، ولم تكن هناك حتى وسيلة للتواصل بين الضباط أو القادة حتى يتمكنوا من تنظيم عمليات التصدي للبلطجية واللصوص والمجرمين.. لذا فقد تركوا كل شيء وهربوا.. وأنضم بعضهم لعصابات قطاع الطرق والمسلحين الذين كانوا يسطون على المنازل والمحلات التجارية..

كان هذا قبل أن يتحول القتل والسرقة والاغتصاب عند البعض إلى متعة حقيقية يمارسونها لأجل الانتشاء بكامل حريتهم أخيرًا، بعيدًا عن قيود المجتمع وضوابط القانون..

متعة لم يعد أحد قادرًا على منعهم من ممارستها كما يحلو لهم..

وببطء؛ كان العالم يتحول إلى مكانٍ موحش للغاية..

مكان أصبح القانون الوحيد فيه هو اللا قانون.. شريعة الغاب حرفيًا بلا أدنى مبالغة..

لم يعد غريبًا على الإطلاق أن تسمع أصوات الصراخ التي تأتي من كل مكان حولك أينما كنت تختبئ، أو تشاهد العصابات وهم يذبحون الناس في الشوارع..

صار الرعب والفزع شيئًا أساسيًا في حياة الناس اليومية.. أو من بقى منهم على قيد الحياة، وكان مجنونًا بما فيه الكفاية ليظل داخل القاهرة أو داخل أي مدينة مكتظة بالسكان عمومًا، في وسط كل هذه الفوضى..

خذ عندك على سبيل المثال منظر الفتاة التي تختبئ خلف تلك السيارة المحترقة المحطمة، وتتلفت حولها في رعب حاملة طفلتها الصغيرة التي يبدو الفزع جليًا على ملامح وجهها الدقيقة، وهي تستمع إلى جلجلة الضحكات الساخرة المنتشية الآتية من بعيد..

إنهم قادمون.. يجب أن تختبئ..

تنحني لا شعوريًا خلف السيارة، وتضع كفها على آذان الصغيرة لتمنعها من سماع الصراخ، وتدير جسدها إلى الخلف لتمنعها من رؤية المشهد الدائر، في حين يعبر أمامهم ذلك الرجل الذي يركض هاربًا في هلع، قبل أن يتلقى رصاصة يدوي صداها ويتردد بين الأبنية، فيسقط أرضًا على وجهه وهو يصرخ وينتفض ألمًا..

وفي اللحظة التالية، وأمام عيونها المرتاعة، يلحق به أربعة رجال يحملون الأسلحة البيضاء، ويشرعون في ضربه بالنصال والهراوات، ثم يفرغ أحدهم رصاصتين في رأسه الذي تفجر ليغمر الطريق بالدماء..

رائحة الدماء تتصاعد وتفعم أنفها، فتوشك على التقيؤ، بينما الجسد الدامي الملقى وسط الطريق كالخرقة، وأجزاء مخه المتناثرة حوله يرسمان صورة كابوسية تضفي على المشهد ظلامًا فوق ظلامه..

تتراجع وتنحني أكثر، بينما ترتجف الصغيرة وتوشك على الصراخ، قبل أن تضع هي يدها على فمها، فلا تصدر سوى صيحة بسيطة، لا تكاد تكون مسموعة

لأذُن..

ولكنهم يتوقفون..

يتلفتون حولهم لحظات منصتين، ويرفع ذاك الذي يحمل السلاح الناري الفوهة في الاتجاه الذي أتى منه الصوت..

تحبس أنفاسها وهي تحكم يدها على فم الصغيرة التي بدأت في البكاء فعليًا، ليتعالى صوت نهنهتها.. خافتًا كحُلم، ولكن دويه وسط السكون يبدو أشبه بالصياح..

وهم هناك.. ما زالوا يتشممون الهواء، ويتلفتون حولهم وهم يغمغمون فيما بينهم، قبل أن يصفر ذو المسدس إلى الثلاثة الآخرين، وهو يستدير ويشير بفوهة سلاحه إلى السيارة التي تحتمي هي خلفها.. وعندها أخيرًا، يرون وجهه..

وجهه العابس المتسخ، وشعره الأشعث الشائك الذي يبدو أشبه بفراء ضبعٍ يتضور.. شكله يبدو أشبه بوحش حقيقي كاسر، لن يتوانى عن قتلهما بأشنع طريقة ممكنة لو لمحهما..

يطلق صفيره إلى رفاقه، ثم يتحرك رافعًا فوهة سلاحه أمامه.. نحوهم مباشرة..

لم تنتظر هي، بل نهضت بلا تفكير لتدور على عقبيها، وتطلق ساقيها للريح..

صوت بكاء الطفلة يدوي وسط السكون، ويتهدج تحت وطأة الركض، بينما الرجال الأربعة يطاردونهما وهم يصفرون ويتصايحون فيما بينهم في جذل.. يوشك صاحب السلاح الناري على إطلاق النار على ظهرها، فينهره أحدهم بشدة.. إنهم يحتاجون للمضاجعة كمثل الحيوانات جميعًا.. فلماذا يجب أن يقتلوها الآن؟! يمكنهم اللهو قليلًا..

في كُلِ رُكنٍ هُم.. في كِل مكان يقبعون.. لا سبيل لقمعهم، ولا مهرب أو فكاك.. والرائحة..

تلك الرائحة التي يمتزج عفنها بنسمات الهواء، ويضفي مع أصوات الصراخ وطلقات الرصاص التي تدوي كل بضع دقائق على مشهد الشوارع طابعًا لا سبيل لوصفه.. رائحة الجثث الملقاة في كل ركن، والسيارات المحطمة والمحترقة.. لم يعد هناك أحدٌ هنا لينقذهم.. كل من بقى هنا هو لص أو سفاح أو مغتصب..

تدير عينيها في الموجودات.. إلى أين تهرب، وأين تذهب؟ لا مخابئ هناك، فكأنما العالم تحول إليهم، أو أصبحوه هُم.. متعفنًا كمثل غرائزهم الحيوانية

التي صعدت إلى السطح في غياب القانون والدولة والمجتمع.. قاسيًا كفطرتهم الأولية التي كانوا عليها قبل ألفيات مرت على بني جنسهم من التطور التكنولوجي، لتكسوهم بغبار المجتمع والحضارة..

تعرف أنها ليست مثلهم، وأنها لن تغدو مثلهم أبدًا.. تحارب حتى تظل على فطرتها السليمة، ولأجل أن لا يلوثها هذا العالم الكابوسي لتغدو وحشًا كاسرًا لا رادع له هي الأخرى..

يبدو كُلِ رُكنٍ تنظر له مقبضًا كالموت ذاته.. يصطبغ بالدماء العفنة السوداء القاتمة، كليلةً بلا قمر..

تركض أكثر في نفس طريقها، فقط ليسد أنظارها منظر قطاع الطرق الذين يقفون في منتصف الشارع أمامها بالضبط، يقطعون عليها الطريق، فلا تجد سبيلًا للعبور خلالهم.. تنظر خلفها ليطالعها منظر السفاحين الأربعة الذين يركضون محاولين اللحاق بها..

كابوس.. هذا كابوس بالتأكيد.. لا يُمكن أن يكون ذاك هو ما ينتظرها كُل يوم..

صحيح أنها تعيش نفس الكابوس يوميًا منذ شهور لا تدري عددها، ولكنها دومًا تقنع نفسها بأنها تحلم.. يومًا ما ستستيقظ، وتتذكر كل هذا وهي تضحك بين أحضان زوجها على سريرها، وسط ضياء الشمس المتسرب من النافذة..

يومًا ما، ولكن ليس الآن..

يجب أن تهرب..

تدير عينيها من جديد وهي تحاول السيطرة على جسدها الذي بدأ في الارتجاف لدرجة الاهتزاز.. قلبها يعوي وتدوي خفقاته كالطبول حتى لتوشك على أن تكون مسموعة..

ذلك الزقاق الجانبي..

لا سبيل سواه..

تعدو نحوه، وتوشك على أن تتعثر وهي تحمل الفتاة الصارخة، ولكنها تتمالك نفسها وتدلف إليه بسرعة.. ثم يقودها الزقاق إلى زقاقٍ آخر.. ويقودها ذاك إلى أخيرٍ لا تجد مهربًا من خلاله، فهو مسدود تمامًا.. لا يحوي سوى كشك بقالة صغير بابه مفتوح.. لا مخبأ عداه..

تدلف إليه بلا تفكير، وتغلق الباب خلفها..

لا سبيل الآن سوى الاحتماء في مكانها هنا، والانتظار حتى يمر هؤلاء القتلة الذين جلبتهم خلفها..

تنحني وتجذب الفتاة إلى الأسفل، وتحاول تهدئتها فلا تُفلح.. تسمع أصواتهم خطواتهم المقتربة وهم يركضون نحو الشارع التي دخلته، فهم يسمعون صوت الصراخ بالتأكيد.. لو لم تخرس الصغيرة قبل أن يصلوا إلى الشارع، فهي نهايتهم بالتأكيد..

تنظر إليها في غِل.. يجب أن تصمت.. يجب أن تخرس تمامًا..

تصفعها في عنف، ثم تضع كفها على فمها في قسوة، فلا يُفلح ذلك سوى في جعلها تنوح أكثر..

والأصوات.. الأصوات تقترب..

الفزع يوشك على أن يتجسد ليكون ثالثهما..

الهلع الذي لا يُجدي معه أي تعقل..

تنظر إليها، وتشرد بتفكيرها لحظات..

تشرد ليوم أنجبتها.. تلك النظرة على وجه زوجها وهو يحتضنها وعبراته تسري على وجهه غبطةً وفرحة..

نُضجها ونموها أمام أعينها.. ضحكاتها الطفولية وعيونها البريئة التي لا تفهم.. لا تستوعب..

تنظر إليها وهي تصرخ في فزع ودموعها تتطاير.. نفس النظرة.. نفس النظرة التي لا تستوعب، تُطل من خلف عينيها جلية..

والأصوات.. الأصوات تقترب، وتتصاعد معها رائحة الدماء النفاذة، فكأنما هي رائحة الموت ذاته..

لا تريد أن يلوثها هذا العالم.. تعرف أنها قطعًا أفضل من كل هذا، وأنها لن تغدو مثلهم أبدًا.. ولكنها تريد أن تنجو..

تريد أن تعيش.. ولا يُهم ما قد تفعله في سبيل ذاك..

تنظر إليها، وهي تسحب السكين من حزامها..

لا يُهم ما قد تفعله، فقد فعلت الكثير بالفعل.. لا يُمكنك أن تعيش في هذا العالم ما لم تفعل الكثير.. تفعل ما يُحتّم عليك أن تفعله..

تضع النصل على عنق الصغيرة التي مازالت لا تفهم.. لا تستوعب..

فقط تنظُر لها بعينيها التي تلمع فيها الدموع، وصرخاتها التي هدأت تحت تأثير الدهشة وملمس النصل البارد.. ليست مصدومة بالتأكيد، فهي لا تعرف كيف

تُصدم في مثل هذا السن..

ثم تبدأ في نحرها، وهي تكمم فمها بقوة.. تنفجر الدماء لتلوث كل شيء..

يجب أن تنجو.. يجب أن تعيش..

لا يُهم ما قد تضطر إليه في سبيل ذلك..

ثم إن هذا حُلم بالتأكيد.. أليس كذلك؟

ستستيقظ بعد قليل في سريرها، بجوار زوجها وشعيعات الشمس الذهبية التي تغمرها بالدفء..

لا يهم حاضرها، بل المستقبل هو الغاية.. ستفيق حتمًا، وستصحو.. رُبما ليس اليوم، وربما ليس الغد، ولكن –حتمًا- في يومٍ ما..

تنحر أكثر، بلا شعور، حتى ينفصل الرأس تمامًا عن الجسد، وتكُف الصرخات..

لن يلوثها العالم بقذارته أبدًا.. ستحيا، ولن تغدو وحشًا مثلهم.. ستنجو من كل هذا، وستحتفظ بعقلها وإنسانيتها..

والصغيرة؟!

لا يُهم.. لا يُهم..

يُمكنها أن تُنجب غيرها يومًا ما..

ثم إن هذا حُلم.. لا مشكلة هنالك.. ستستيقظ قريبًا جوار زوجها، وستُنجِب منه أطفالًا آخرين.. صحيح أنه مات منذُ زمنٍ بعيد، وهو يدافع عنهما ضد عصابات الطرق ليتلقى طعنة نافذة في قلبه، ولكنه بالتأكيد ما زال حيًا في مكانٍ ما.. ربما في العالم الحقيقي، فهذا حلم بالتأكيد..

لا مشكلة هنالك..

الدماء.. الدماء تسري في كل ركن، وتغمر ملابسها وجلدها وشعرها، وتتسلل إلى عينيها.. ولكنها لا تهتم..

يجب أن تنجو..

الأصوات تدخل إلى الشارع أخيرًا.. يتلفتون حولهم باحثين عنها، وتتفحص نظراتهم كل شبر من الزقاق الصغير، ولكن أحدهم لا يراها أو يسمعها.. قد احتمت جيدًا.. ثم إن الصغيرة لم تعُد تصرخ.. من الصعب فعلًا أن تصرخ دون رأس.. هي قد تأكدت من ذلك عمليًا..

يجب فقط أن تقبع مكانها، وتنتظر بعض الوقت.. سيرحلون حتمًا.. طال الزمن أم قصُر..

ستنتظر رحيلهم، ولن تصدر صوتًا على الإطلاق..

ستنجو.. ستنجو بالتأكيد، ولن تصير وحشًا مثلهم أبدًا..

لن يكون هذا هو يومها الأخير على الأرض..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- 8 -

رواية كل شيء

The novel of everything

هدوء..

أمطار..

صوت الشارع الذي لا صوت له، فسكونه يُهيمن عليه متغلبًا..

وهو..

يمشي في تؤدة.. متطلعًا إلى ما حوله، متلفتًا.. البخار يخرج من بين شفتيه، ويتصاعد كدخان تنين أسطوري، ينفث جليدًا يحرق من يصيبه برودة..

المياه التي تتألق على الأسفلت المبتل، تضفي منظرًا مقبضًا على الليلة.. رائحة العطن الممتزج بالرطوبة.. رائحة التراب المبتل.. تحتل كل المؤثرات أفكاره، فيفرك كفيه ببعضهما، وينفخ فيهما طلبًا لدفءٍ لا يأتي..

لا يدري سبب وجوده في الشارع، ولا سبب مشيه في ذلك الوقت المتأخر.. من أين أتى وإلى أين يذهب؟ لا يعرف بالضبط..

كل ما يفقهه هو المشي الحثيث.. صوت خطواته على الأسفلت تدوي ممزقةً السكون الغالب على ما حوله.. لا يوجد شخص يمشي حوله على مرمى البصر.. لا أناس هنالك، فكأنه خارج إطار الزمن.. لا يراه أحد.. لا يذكر حتى سبب وجوده في هذه المنطقة.. لكنه يعرف أنه يتحرك لغايةٍ ما.. أن شيئًا ما يدفع قدميه للمضي قدمًا..

ما هو بصدده مجهول، ولكنه يعرف أنه لا غاية لحياته سواه.. ذاك هو أهم ما بعالمه، ولا معنى لشيءٍ ولا مغزى دونه..

يمشي..

رائحة العطن.. البخار الذي يحمل أتربةً تبدو راحتها كملمس فرو قِطٍ مبتل.. كفراء جرو وليد، لفظه رحم أمه وسط أمطار لا ترحم.. لا يدري من أين جاء، ولا ما يختبئ له في مستقبل لا يفقه قربه من بعده..

أنوار الشارع البيضاء، تأتي من أعمدة حديدية رفيعة، تعكس ضياءها لمعةً على بقع المياه الراكد، وتتكسر مع هطول قطرات المطر الغزيرة.. دواماتٍ تتكون وتتشكل.. كحياته الغامضة بالضبط..

يضع يده في جيب معطفه الطويل، ويحني رأسه وهو يحث الخطى نحو ذلك الضوء الذي يلوح له من بعيد..

هي مكتبة.. يلمع ضوء لافتتها الباهر وسط ضوء الأمطار، فتبدو كأنها من خارج هذا العالم.. كأنها المأوى، والمهرب.. مرآها يُشعره بأن غايته تكتمل، وتحمله قدماه صوبها بلا تفكير.. صوت خطواته يدوي، فيتناغم مع صوت قطرات المطر التي تهطل على الأسفلت..

يقترب منها.. يقترب ويتطلع عبر الباب الزجاجي إلى الداخل.. الضوء الذهبي الخافت يشي برقي ذوق أصحابها، وصفوف الكتب التي تتراص أمامه غير واضحة المعالم يدفعه دفعًا لأن يمد يده نحو مقبض الباب ليفتحه، ثم يدلف إلى الداخل..

الرفوف المتراصة أمامه، ينعكس عليها الضوء الخافت ليضفي عليه شعورًا بالدفء رغمًا عنه.. يشعر بقلبه يتحرك..

الحقيقة هي أنه يعشق القراءة.. لا يدري شيئًا عن نفسه ولا عن خصائص شخصيته، ولكنه يكتشف شيئًا جديدًا عن شخصيته وهو يقف أمام الرفوف، متطلعًا إلى العناوين بشغف غريب.. من غير الطبيعي أن يكون غير ملم بجوانب نفسيته، ولكنه في نفس الوقت يتطلع إلى العناوين بذلك الشغف.. إنه حتى لا يذكر اسمه! كيف لا يذكر اسمه، ويتمكن من القراءة والشغف بمثل هذا الشكل؟

شيءٌ ما ليس طبيعيًا ويبدو متناقضًا.. ولا يدركه هو في غمرة بحثه بين العناوين.. يتطلع نحو شيءٍ يجتذب أبصاره، حتى تقع عينه عليه..

ذلك الكتاب..

مظهره يبدو متناقضًا مع كل ما حوله.. غلافه داكن، مُعتم اللمحات.. لا يحوي عنوانًا أو كتابةً على الإطلاق، سوى كلمة واحدة..

(الكتاب)..

يمد يده إليه ليلتقطه، ويقلبه ليجوب أرجاءه بنظراته متفحصًا.. ملمسه لا يشبه شيئًا لمسه من قبل.. غلافه قوي، ولكنه يشعر أن بإمكانه ثنيه بلا جهد أيضًا.. حتى صفحاته لا يشبه لونها أي كتاب آخر رآه من قبل.. تعج بالمتناقضات ومرادفاتها، كأن لم يكن شيئًا غيرها..

تلك الخطوات تتعالى من خلفه، فيلتفت..

ذلك الشيخ المهندم المتأنق بشدة.. مظهره يتفق مع أناقة المكان الواضحة.. شعره الأشيب المصفف بعناية، ولحيته التي اختلط سوادها ببياضها، وحلته

الرمادية الداكنة.. يطل من تحتها ذلك القميص.. أزرقٌ لونه، كلون السماء في صباحٍ باكر.. يرتدي عويناتٍ طبية ذات إطار مذهب، وتتدلي من جيب حُلته سلسلة ذهبية تضفي عليه مظهرًا شديد الفخامة..

يقترب وهو يبتسم.. خطواته تقرع الأرض الخشبية مصدرًا صوتًا خافتًا..

ثم يتحرك لسانه أخيرًا، ليدوي صوته العميق، رزينًا لا اصطناع فيه:

- «مرحبًا بك في مكاني المتواضع..»

يبتسم ابتسامة خافتة، وهو يرفع الكتاب أمامه قائلاً:

- «ما هذا الكتاب؟»

يقول الأشيب وهو ينظر إليه بعينين لا تطرفان، دون أن يحول أنظاره على الكتاب حتى:

- «هذه رواية.. ليست كتابًا..»

- «أفهمُ ذاك، ولكن عمَّ تحكي؟ لا أجد ملخصًا أو نبذة عنها..»

يبتسم الأشيب وهو يقول:

- «عنك هي تحكي.. وعني وعن الجميع.. تلك هي الرواية التي نعيشها جميعًا كل يوم..»

يومئ برأسه متفهمًا.. هو البائع بالتأكيد، وهو يجيد الدعاية أيضًا.. لا بأس به على الإطلاق..

يفتح الرواية، لكنه لا يميز الكلام المكتوب.. كأنه شارد الذهن يحاول القراءة، فلا يستوعب.. يتصفحها ويقلب الأوراق، ولكنه مازال لا يفهم.. غشاوةً غريبة تسيطر على عقله، فلا تترك له مجالًا للاستيعاب..

يشعر به الأشيب، فيربت على كتفه، ويقول:

- «هناك مكان يمكنك الجلوس فيه ومطالعتها مليًا، حتى تحسم قرارك لو أردتها..»

ينظر له ممتنًا..

- «هذا هو ما أحتاجه..»

يجذبه الكهل وهو يحيطه بساعده كصديقٍ قديم..

- «أعرف.. أعرف ذلك..»

يقتاده نحو تلك المنضدة الفخمة، ويُجلسه على المقعد الوثير، ثم يبتعد بلا كلمة أخرى.. أنيقٌ هو، راقي التصرفات والملبس والحديث، إلا أن شيئًا ما يتعلق به ليس على ما يرام..

يتناسى ذلك وهو يحاول أن يُصفي ذهنه، ويفتح الرواية.. تقفز عيناه بين الصفحات..

تميز الكلمات.. ويرسم عقله المشهد، ويحركه خياله كفيلم سينمائي..

يرسم شكل الأمطار.. والسكون..

وشكل ذلك الذي يمشي وسط ذاك الزمهرير، وهو ينفث البخار من فمه، ويفرك كفيه نافخًا فيهما الدفء..

يتخيل شكل الشارع، والأضواء المنعكسة على قطرات المطر، والبرك الصغيرة المتكونة فيه.. ذلك البطل الذي لا يفهم وضعه، ولا كيف وضعه مؤلف وسط القصة فجأة هكذا..

جزء منه يشعر بأن هذا كله مألوف.. مشهده وهو يتطلع إلى الضوء الآتي من المكتبة التي في الأفق مألوف جدًا، كأنه رآه من قبل..

شكله وهو يلتقط الكتاب من على الرف، ووصف الأشيب الذي جاءه.. قد عاش كل هذا.. عاشه منذ لحظات.. كيف يُمكن ذاك؟

ضربات قلبه تتسارع وهو يقلب الصفحات..

نفس المشاهد تروى مع آخرين.. كما حدثت له بالضبط، وجميعها تنقطع عند نفس النهاية.. البطل يجلس ويقرأ ما حدث له داخل الرواية.. يقلب الصفحات بسرعة عائدًا نحو البداية.. نحو مشهده هو..

يرى أمام عينه الحروف تتشكل، وترتسم لتكمل القصة.. دون أن يكملها أو يكتبها أحد!

صوت الأشيب يأتي من خلفه، لينتفض..

- «هذه هي الرواية التي تجمع كل الروايات.. كما قُلت لك..»

يلتفت له، ويتطلع إليه وهو يقترب في تؤدة..

- «كُلُنا هنا..»

يشير للرواية التي بين يديه..

- «كُلَنا داخل هذه الصفحات، نتشكل بيد مؤلفٍ لا يفقهه أحدنا.. كل من جاءوا قبلك هم هنا، وكل من سيجيئون بعدك سيحتلون بياضها، ليتشكل بمشاهدهم وقصصهم..»

أسئلة.. أسئلة كثيرة تتشكل في ذهنه.. لا يقوى على سؤال أحدها، فيرد الأشيب وكأنه سمعه:

- «تسأل من أنا؟ العديد من قبلك سألوا، وعديدون سيسألون..»

يقف أمامه مباشرةً.. يجذب كرسيًا، ويجلس ليستند بمرفقيه إلى المنضدة..

- «أنا أمين المكتبة.. المسئول عن جميع الروايات التي تراها حولك.. كل الحيوات الموجودة داخل تلك الصفحات هي مسئوليتي أنا.. ولكنني لستُ الكاتب، ولم أؤلف حرفًا واحدًا منها..»

تتحرك شفتاه أخيرًا، ليخرج السؤال الأكثر صعوبة:

- «ومن الكاتب؟ وما المغزى؟»

يبتسم الأشيب لحظات.. يتطلع إليه، وكأن الوقت قد توقف.. النظرتان تلتقيان، فترسمان مع تضادهما مشهدًا واقعيًا للغاية.. كفلسفة حياة كاملة..

كعُمرٍ يعيشه جيل بأكمله، يمُر على الأرض ويرحل، بلا فهمٍ ولا إدراك..

- «أليس هذا ما نطمح جميعًا لفهمه؟»

يميل عليه عبر المائدة، وتلفح أنفاسه الحارة وجهه وهو يتابع في بطء:

- «من هذا الذي يكتب كل هذا؟ ولأية غاية؟ من نحن حقًا، وما المغزى من مشاهدنا القصيرة التي نمر من خلالها على هذا المكان؟»

أسئلة.. أسئلة كثيرة، لا إجابة لها.. كسرٍ كونيٍ مهيب، لا يجرؤ بشريٌ على التفكر فيه، ومحاولة استيعابه..

- «من المؤلف؟ ولماذا - كالموت - ينقطع المشهد عند تلك النُقطة؟ هذا هو مغزى حياتنا كُلها، وما نعيش لأجل أن نفهمه..»

يشرد ذهنه بعيدًا.. يحاول أن يتذكر حياته قبل هذا اليوم، فلا يُفلح.. كأنما خلقته أصابع مؤلف ماهر، وألقته في خضم الحدث.. بلا تاريخ أو هوية، ولا مستقبل..

ضائعٌ هو بين صفحات كتاب منسي.. حياة في رواية تتحدث عن حياته وحياة العالمين..

- «لا أحد يعرف ما يحدث بعد أن تأتي إلى هُنا.. الأتِ هو المجهول ذاته، كما خُلقت الكلمة لتصف..»

يرفع عينه إليه..

- «وماذا عن الماضي؟ أليس مجهولاً؟»

يتراجع الأشيب في مقعده..

- «بل هو غير موجود.. لم يحدث من الأساس.. لم يكن لكم ماضٍ قَط.. خُلقتم لتمروا عبر هذه المكتبة، وما بعدها هو مجهول.. وخُلقت أنا لأرشدكم فقط. تلك هي غايتي، أو ما أظنها تكون..»

يتحدث كأنه فكرة.. مجرد فكرة عابرة، مرت بذهن مؤلف لا يدري ما يفعل بها، ولا يفقه..

خلقها، وخلق المئات قبلها، لتمر عبر مشهدٍ معين، تركه بعدها متكاسلاً، لتضحي هي والعدم سواء..

يتجمد المشهد.. لا يقدر أحدهما على الكلام أو الحراك.. حتى الهواء ذاته يبدو كأنما توقف.. أو هو قد توقف فعلاً..

الأفكار تتصارع في عقله.. هل هؤلاء الآخرون الذين احتلوا الصفحات هم آخرون فعلاً؟ ماذا لو كانوا نسخًا فكرية منه؟

بدائل وضعها المؤلف، لخلق نفس المشهد، بحثًا عن الصورة المُثلى.. هل هو الصورة المُثلى؟ هل توجد صورة مُثلى من الأساس، أم أن الكل فاسد؟ الكُل خُلِق في عالمٍ واحد، ليحاول الوصول لغاية نهائية، ربما لا يُدركها المؤلف ذاته..

ربما هو يلهو أو يتسلى.. رُبما هو لم ينضُج بعد.. ربما كان طفلاً حتى.. من يدري؟!

تتصارع الأفكار، وتتبارى، في حين يختفي كل ما هو في محيط أنظاره.. يتمزق..

هذه هي النهاية إذن..

خُلِقَ كفكرة في ذهن مؤلف مريض، وسينتهي دون أن يكتمل.. دون أن يصل لمغزاه.. سيتمزق مع مُزاق الصفحات..

هذه هي النهاية وقد حانت.. كإنسان عاش حياته، ووصل لقبره، ليتوقف المشهد وتبدأ حياة جديدة من نوع آخر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

- 9 -

ذلك الذي جاء

He who came

تحوم أنظارك حول ذلك المشهد الكائن أمامك..

أمطار..

وحل..

وذلك البيت العتيق على أطراف تلك القرية الموحشة، تحيطه الأشجار من كل جانب، فتكسبه طابعًا مقبضًا..

تبدو القرية خالية تمامًا، وتلك الرائحة المميزة ذات المذاق الصدئ قليلًا تشي بكمية الدماء التي أريقت على أرضها..

رائحة الجثث في كل مكان، ولا أثر لكائنٍ حي على مرمى البصر..

وهناك.. داخل ذلك البيت العتيق الموحش، يجلس هو في الركن.. ساكنًا يحدق في السقف..

لا أحد يدري ما الذي حدث في القرية بالضبط.. ولا من هو ذلك الذي جاء ليحيلها إلى جحيم.. لا أحد يفقه على الإطلاق، ولم يعد أحد باقيًا ليخمن..

وها هو ذا.. يختبئ مما يحدث في الخارج.. يجب أن لا يجده..

شعور الجوع هذا.. لم يضع شيئاً في فمه منذ فترة، ومعدته بدأت في إصدار الأصوات.. يجب أن يجد بعض الطعام وإلا مات جوعًا..

يزفر زفرة حارة ليتصاعد من فمه البخار ليعطي مع منظر البيت المظلم وصوت الأمطار في الخارج طابعًا مقبضًا، يدفعه ليدير عينه نحو النافذة..

قطرات الأمطار تتساقط على زجاجها مصطبغةً بضوء المشاعل الملقاة أرضًا بالخارج وسط الوحل.. مازال مشتعلًا برغم الأمطار..

يجب أن يخرج من القرية قبل أن يجده.. متسللًا تحت الأمطار والظلام.. لكنه لا يجرؤ على أن يخطو بالخارج، فأرض القرية تعج بمن كانوا يظنون في أنفسهم القدرة..

إذاً ماذا سيفعل؟

يجذب شيء ما انتباهه لينتزعه من شروده، فيدير وجهه من جديد نحو النافذة..

يكاد يقسم إنه رأى ظلًا يعبر أمام الزجاج الشفاف.. ظلًا له تكوين بشري..

دقات قلبه تتسارع، وأنفاسه تتوالى، والبخار المتصاعد من بين شفتيه يبدو أشبه بشبح الخوف الذي يسيطر على المكان كله من حوله..

ثم (بوم.. بوم.. بوم)..

تلك الطرقات التي توشك على انتزاع الباب الخشبي المتهالك من مكانه..

يتراجع في جلوسه إلى الخلف ليلتصق ظهره بالجدار وهو يرمق الباب في ذعر..

(بوم.. بوم.. بوم) من جديد..

ذلك الصوت الذي يميزه بصعوبة من خلف الباب..

<»إفـ... راء.. قا.. تح..»

هل هذا صوت كلام؟ هل هو يتكلم؟!

ربما بنفس السهولة يمكنه أن يتخيل أنه أحمق، وأن هذا صوت زئير أو خوار أو أي صوت مماثل..

ماذا سيفعل؟

حياته كلها تتوقف على ذلك القرار المصيري..

هل يفتح الباب؟

(بوم.. بوم.. بوم)

أم لا؟

لا يمكنه أن يقرر..

تلك الرائحة التي تدخل أنفك فتثير فيك الغثيان والرغبة في السعال.. رائحة الجثث المتعفنة الممتزجة برائحة الدماء، ورائحة شيء ما لا تدري ما هو.. من أين تأتي؟

لا وقت لهذا..

(بوم.. بوم.. بوم)

التقط السكين الحديدي الطويل من جواره، ونهض واقفًا في بطء..

ذلك الوميض السريع الذي ينعكس من النافذة ويضيء الجدران بذلك اللون الأزرق البارد، ويتبعه هزيم الرعد..

يتقدم نحو الباب في تؤدة..

يمتزج صوت صرير الأرضية الخشبية للمنزل تحت قدميه بصوت الأمطار المتساقطة على النافذة، فيملأ قلبك وجلًا..

(بوم.. بوم..)

دقتان فقط.. الضعف واضح على قوة الطارق..

يتوقف في مكانه لحظة..

هل هذا يعني أن الطارق بشري؟ ربما كانت خدعة ليجعله يفتح الباب.. ولكن لماذا ينتظره أن يفتح الباب من الأساس؟ يمكنه اقتلاعه من مكانه بنفس السهولة..

يتقدم في بطء من جديد نحو الباب، وصوت الأرض الخشبية يعوي تحت قدميه..

إنه أمام الباب الآن..

يصغي السمع.. لا يمكنه أن يميز صوتًا بالخارج سوى صوت الأمطار وصفير الرياح الممتزج بحفيف الأشجار..

يضع يده على المقبض البارد، ويرفع يده الأخرى بالسكين، ويلتقط نفسًا عميقًا..

دقات قلبه تتسارع.. هذه هي لحظة الحقيقة.. لو كان مخطئًا فلن يتألم بالتأكيد.. يأمل أن يكون موته سريعًا نظيفًا على طريقة (نور – ظلام) الشهيرة..

الآن أنت هنا، والآن أنت هناك..

يزفر في توجس ليتصاعد البخار، ثم يدير المقبض في قوة، وينفتح الباب..

ذلك الجسد الذي يسقط موضع قدميه مبتلًا يرتجف.. الرياح باردة فعلًا، والأمطار والوحل يزيدان الأمر سوءًا..

ينحني عليه.. إنه جاره.. يتحسس نبض عنقه.. ما زال الأحمق حيًا..

ألقى السكين جانبًا ليدوي الصوت المعدني الرنان، ثم جذبه إلى الداخل في سرعة وأغلق الباب بقدمه..

إنه يحتاج إلى الدفء.. يجب أن يدفئه حتى لا يموت بردًا..

انتزع سترته ليضعها فوق الجسد المرتجف، ثم التقط السكين وجلس بجواره صامتًا..

ترى كيف نجا منه؟ ما الذي فعله بالضبط، وأين اختبأ؟

كل هذا ليس مهمًا الآن.. إنه معه وأمامه، وهذا يكفي..

يمر الوقت، ويتساقط المطر أكثر وهو يجلس بجواره.. ثم تبدأ أصابعه في التحرك.. إنه يستيقظ..

يميل جسده، ويريح ظهره على الحائط في وضع الجلوس..

الصمت.. الصمت يخيم عليهما، فلا يدري أحدهما ماذا يقول..

يخرج صوت الناجي من بين شفتيه مرتجفًا..

- «شكرًا.. لو لم تفتح لي لانتهى أمري بالتأكيد..»

يومئ برأسه إيجابًا وتتحرك شفتاه بكلامٍ غيرِ مفهوم.. ثم يقول:

- «أين زوجتك وطفلتك؟»

ينظر له في صمت، وتلتمع عيناه على ضوء البرق.. هل تلك التي في عينه قطرات أمطار حقًا؟!

- «أنا آسف..»

لا يرد..

شعور الجوع هذا.. يشعر أنه سيموت جوعًا.. ليس من اللائق أن يسأله بعض الطعام الآن..

- «إنه يلتهم جثثهم..»

يدير عينيه إليه في تساؤل..

- «ماذا؟!»

- «يقتلهم، ثم يلتهم جثثهم حتى العظام..»

الدهشة تمتزج بالرعب..

- «ولماذا؟!»

يسود الصمت برهة.. ثم يخرج صوته مرتجفًا متهدجًا لا أثر للدموع فيه.. بل هو أشبه بالغضب..

- «لأنه وغدٌ مريض..»

يصمت لحظة، ثم يتابع:

- «يجب أن نجده.. نجده وننحت عظامه بالنصال..»

تلك الرائحة الخانقة في كل مكان حولهما، تدفعه لأن يدير عينيه حوله باحثًا..

- «ما تلك الرائحة؟! أُوشِكُ على التقيؤ..»

يهز كتفيه في حيرة، فينهض الأول باحثًا في البيت..

ينهض هو خلفه..

الرائحة النفاذة تمتزج بشعور الجوع لتثير في نفسه إحساس الغثيان..

يتبعه حتى تلك الغرفة في الركن.. الرائحة عندها أقوى لدرجة توشك على أن تفقده الوعي..

يضع الناجي يده على أنفه وفمه ويفتح الباب على مصراعيه كاشفًا المشهد..

تلك الجثة الممزقة الملقاة على الأرض..

الدماء تغرق كل شبر في الغرفة.. حتى الجدران.. لا يبدو منظرها طبيعيًا ولا يوحي بأنها تناثرت أثناء التمزيق.. بل هي موضوعة على الجدران عمدًا..

يقترب من الجثة وهو يضيق عينيه ويلتقط أنفاسه في صعوبة وسط الرائحة..

الذباب ينهش الجسد المسجّى على الأرض، ويهاجم يديه التي تدير الجثة في ضراوة..

يدير الجثة الثقيلة، ثم يرفع العنق بيده الأخرى ويديره في اتجاهه ليرى الوجه..

إنه يراه..

يرى الوجه.. يراه وينتفض قلبه بين ضلوعه ذعرًا، وتوشك ساقاه على التحول إلى عجين..

تلك القشعريرة الباردة التي تزحف على ظهره.. قشعريرة من عرف الحقيقة، وعرف أنها ليست في صالحه..

يستدير في بطء في جلسته إلى حيث يقف الآخر.. ويحاول الوقوف، ولكن قدمه المرتجفة لا تحتمله فيسقط أرضًا..

نظرة الفزع في عينيه أكثر تعبيرًا من أي كلمات..

وهو..

هو هناك..

يقف على باب الغرفة مراقبًا إياه وهو يبتسم ابتسامة دافئة..

يرفع يده في بطء وتلتمع السكين مع ضوء البرق البارد..

شعور الجوع هذا..

لم يضع شيئًا في فمه منذ فترة.. إنه يتضور..

لم يكن من الممكن التهام تلك الجثة بالتأكيد، فقد كان يحتاج أن تكون بكامل أنسجتها حتى يستطيع اتخاذ شكلها.. ربما اختلس بعض الرشفات من دمائها وهو يغطي الحوائط بها، ولكن هذا ليس كافيًا بالتأكيد.. إنه بحاجة إلى اللحم..

يبدأ في التقدم نحوه وهو يستعيد في بطء شكله الحقيقي..

يتراجع الناجي زاحفًا إلى الخلف وقد احتبست الصرخة في حلقه من هول المشهد، فلم يعد قادرًا على الصراخ..

يتقدم نحوه بخطوات واسعة، ونفس الابتسامة الدافئة على وجهه..

هذا العالم الذي جاء إليه يختلف عن عالمه في كُلِ شيء تقريبًا.. هنا على سبيل المثال، هُم يأكلون الحيوانات، وليس بعضهم البعض.. ويلتهمون أشياءً يسمونها النباتات والخضروات! لا يدري كيف هذا، فهو قد جرب طعم إحداها، وكاد أن يتقيأ.. هؤلاء البشر غريبون حقًا، ولا يفهم كيف ظلوا متحكمين في موارد كوكبهم حتى الآن، وهم لا يلتهمون أنواعهم..

كل هذا سينتهي.. هذا العالم واسع فعلًا، ولا تشكل السيطرة عليه أي مشكلة بالنسبةِ له.. ولكنه وحيد ولا يستطيع فعل الكثير بمفرده.. لم يعبر معه أحد من عالمه، فالطقوس التي فتحت أمامه بوابة العبور لم تستمر لأكثر من ثوانٍ معدودة.. حاول أن يكررها بعد أن عبر، ولكنه لم يتمكن من فهم كل هذه المعادلات والأرقام التي يستعملونها في ذلك المكان الذي تُصنع فيه البوابات النجمية.. ذلك المختبر العملاق الذي يسمونه مختبر (سيرن)، في مكان يدعى سويسرا.. ما عرفه هو أنهم يحاولون هناك أن يصمموا تجارب علمية يكتشفون بها سر الكون، ولا يملكون أي فكرة عن الأهوال التي تنتظرهم داخل تلك البوابات اللا نهائية التي يصنعونها باختباراتهم دون أن يفقهوا، بين البعد الذي يعيشون فيه والأبعاد الأخرى..

هؤلاء البشر وعلومهم.. ضعفاء ولا حول لهم، ولكنهم أذكياء فعلًا.. صحيح أنهم ليسوا بالذكاء الكافي ليلاحظوا الكابوس الذي أطلقوه على عالمهم، ولكنه

يثق في أنهم سيستوعبون عمّا قريب.. ولهذا فهو لا يملك الكثير من الوقت..

هذا هو الناجي الأخير في القرية كلها، لذا يجب أن يستغل لحمه على أكمل وجه، فربما لن يجد وجبة أخرى إلا بعد فترة طويلة.. بيولوجيا جسده تعطيه القدرة على معرفة ذكرياتهم والعلوم التي تحويها عقولهم، بمجرد التهامه أجسادهم ولحومهم.. لا يدري كيف، فهذا لا يحدث في عالمه مطلقًا، ولكنه يحدث هنا.. ربما للأمر علاقة بتطور فيزيائي من نوعٍ ما حدث بسبب عبوره إلى بُعدٍ مختلف، ولكنه لا يفهم بالضبط.. فالعالم الذي أتى منه غير متطور علميًا لهذه الدرجة..

كل ما يعرفه هو أنه يجب أن يلتهم أكبر عدد منهم حتى يتمكن من معرفة المزيد عن علومهم.. يجب أن يفهم ما يجب عليه عمله لتشغيل ذلك المختبر العملاق الذي عبر من خلاله.. يجب أن يفتح البوابة مرة أخرى أمام باقي بني جنسه، فهو يشعر بالوحدة حقًا.. سيمرحون كثيرًا حينما يرون هؤلاء البشر ويتذوقون طعم لحومهم ليعرفوا ما يعرفونه..

لهذا فأنت تراه وهو يرفع السكين عاليًا، ثم يهوي به لتتناثر قطرات الدماء في وجهك..

ويظلم المشهد أمامك تمامًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-10-

قانون الذكريات

The law of memories

إهداءٌ إلى جميعِ أحرار هذا العالم..

حكايتكم وقصة وجودكم ونضالكم ضد ظلام الجهل والظلم والاستبداد، وسعيكم نحو نور العدالة والحرية هي قصتنا جميعًا، وفطرة كل البشر منذ فجر التاريخ..

فالمجد لكل من قال لا في وجه من قالوا نعم، وتحمل غدر الشعوب ومرارة الألم..

المجد لكل حُرٍ على هذا الكوكب، فأنتم الأمل الوحيد في مستقبلٍ أفضل، سيأتي حتمًا يومًا ما..

- «تفضل بالجلوس.. دكتور جونز سيكون معك خلال دقائق..»

يومئ برأسه إيجابًا، ويبتسم في هدوء وهو يدخل تلك العيادة الفخمة، ويتلفت حوله وهو يتطلع إلى معالم الفخامة المتبدية على كل ركن..

الحوائط التي تتزين بالشعار الذهبي الأنيق.. المكتب الضخم شديد الفخامة المزخرف برسوم انسيابية بسيطة.. أدوات الكتابة المذهبة.. الشاشات الهولوجرامية العملاقة التي تسبح في الهواء أمام السكرتيرة التي تبادر بالجلوس في مكانها مرة أخرى..

يتقدم نحو المقاعد الوثيرة في الركن، ويجلس على أحدها، ثم يلقي التحية على الرجل الذي يجلس جواره وهو يبتسم ابتسامة دافئة..

«أنت هنا لفحص الشريحة أيضًا؟»

يسأله الرجل، فيومئ برأسه إيجابًا ولا يرد.. فقط يبتسم، ثم يتراجع بظهره إلى الخلف، ليتكئ على المقعد شاردًا بنظراته في اللامكان..

يتذكر البداية.. بداية كل هذا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدأ الأمر كله عام 2016..

في ذلك الوقت، كانت البداية التي جاءت مع تأسيس شركة (نيورالينك Neuralink) الشهيرة، لصاحبها رجل الأعمال المثير للجدل، إيلون ماسك.. أنت تعرفه بالتأكيد، فلا داعي لأن أحكي لك عنه كثيرًا..

وقتها، كان هدف هذه الشركة ضخمًا ومذهلًا، لم يجسر أحد على تخيله من قبل.. وكان الجميع يتصورون أنه غير ممكن التحقيق إلا في أفلام وروايات الخيال العلمي..

الهدف الذي كانت تطمح له الشركة التي كانت تضم ألمع العقول البشرية في التكنولوجيا الحيوية وطب المخ والأعصاب، كان أن يزرعوا نوعًا معينًا من الخيوط الإلكترونية متناهية الصغر، داخل المخ البشري نفسه.. تحديدًا فوق القشرة المخية.. وهذه الخيوط تكون مندمجة مباشرةً مع الخلايا العصبية.. ثم تُوصّل لاسلكيًا بجهاز متطور يُركّب خارج الدماغ، يكون متصلًا بشبكة الإنترنت..

هذا الجهاز يسجل لحظات عمل الخلايا العصبية، بل وأكثر من هذا.. يُغذي المخ نفسه بالمعلومات، ويعطيه القدرة على أن يندمج مباشرة مع أنظمة الذكاء الاصطناعي.. مما يمنح الإنسان القدرة على التحكم في الأجهزة الإلكترونية المتطورة بعقله فقط!

هذا الطموح وقتها كان شيئًا غريبًا، وغير مطروق في الوسط العلمي والطبي.. وعدّه الكثيرون جنونًا، ولكنهم ظلوا يتابعون ما تفعله الشركة على كل حال، حتى جاء العام 2019، الذي أعلن فيه إيلون ماسك لأول مرة في مؤتمر ضخم في أكاديمية كاليفورنيا للعلوم، عن النموذج الأول للجهاز الذي سُمي بـ (Brain Machine Interface) أو اختصارًا BMI..

الجهاز وقتها كان ثوريًا، وبرغم أنه لم يكن فعالًا بشكل كامل، إلا أن الأمر استولى على عقول الملايين من الناس، وجذب انتباه رجال الأعمال والباحثين الآخرين، بل وأنظمة الدول والحكومات نفسها.. بدأ الجميع يتسابقون في تمويل مشاريعه حتى يمكنهم حصد النتائج..

وحين خرج النموذج الأول من الشريحة عام 2030، كان ما قدمه لمجال الطب والتكنولوجيا ثوريًا لدرجة أنه حصد جوائز لا تعد ولا تحصى، بما فيها جائزة نوبل..

الشريحة كانت قادرة على أن تمنح مستخدميها القدرة على التخاطر الفكري الفوري، بمجرد حدوث أي تواصل مباشر بينهم.. بمعنى أن هؤلاء الأشخاص المستخدمين لو أضاف بعضهم بعضًا عبر الفضاء السايبري الخاص بالشريحة، فإنهم لن يحتاجوا للتخاطب والحديث أو الدردشة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بعد الآن.. بل يمكنهم سماع أفكار بعضهم مهما كانت المسافات التي تفصل بينهم في العالم الحقيقي!

وليس هذا كل شيء.. بل وصل الأمر لعلاج بعض الأمراض العصبية التي كانت مستعصية على الطب قبلها، بمجرد برمجة المخ على تجاوزها.. كمثل مرض ألزايمر الذي لم يعد له وجود بعد ابتكار الشريحة.. فهي كانت تحوي بداخلها نسخة رقمية خاصة من جميع ذكريات الشخص، يمكنه حفظها وزيارتها في أي وقت.. وبالتالي لم يعد للمرض الذي يسبب فقدان الذاكرة باستمرار أي تأثير..

أيضًا كانت الشريحة تمتلك القدرة على علاج أمراض وحالات طبية أخرى، لم يكن للطب أي أمل في علاجها من قبل.. كمثل الشلل الرباعي.. فهو كان ينتج في الأساس عن انقطاع الاتصال بين المخ وبين أعصاب الأطراف الأربعة بسبب إصابات في النخاع الشوكي والعمود الفقري.. الشريحة كانت تعد وسيلة لخلق تواصل بين المخ وباقي أعضاء الجسم، وحتى الأطراف الأربعة، دون الحاجة للاستعانة بشبكة الأعصاب المتصلة بالحبل الشوكي!

حتى أمراض الصدمة والجنون كانت للمرة الأولى قابلة للعلاج والشفاء بشكلٍ كامل، وبدون الحاجة للاستعانة بالطب النفسي.. فقد كان مهندسو الشرائح في (نيورالينك) يمتلكون طريقة للدخول على مكونات الدماغ ذاتها وإعادة برمجتها وتعديلها لعلاج أي مشاكل طبية أو عقلية.. كانوا يمتلكون حتى القدرة على مسح الذكريات السيئة التي سببت صدمات لأصحابها تمنعهم من استكمال حيواتهم بشكل طبيعي..

كل هذا كان ممكنًا للمرة الأولى في التاريخ بفضل شريحة BMI..

وحينما عُمم استعمالها بشكل تجاري، أصبح البشر وقتها لأول مرة شيئًا مختلفًا عما كانوه قبلها.. شيءٌ أعظم وأكثر تطورًا بما لا يقاس..

أصبحوا قادرين على التحكم في أجهزتهم الإلكترونية وحياتهم بأكملها بمجرد التفكير نفسه، وبنفس سرعته.. شبكة الإنترنت بأكملها انتقلت من الفضاء السايبري إلى عقول البشر ذاتهم.. وبسبب هذا، تغيرت طريقة الحياة نفسها..

فجأة، قفزت أسهم شركة (نيورالينك) إلى السماء.. وبعد أن كانت شركة متوسطة الضخامة، وربما أقل من المتوسطة، تحولت إلى واحدة من أكبر وأضخم الشركات في التاريخ البشري، وتجاوز رأس مالها التريليون دولار في أقل من سنة! وكان لنجاحها هذا أكبر الأثر على العالم الذي كان يتغير بالفعل بسرعة أكبر من قدرة المرء على الملاحظة..

تلك التكنولوجيا عُدت شيئًا أساسيًا وضروريًا لصعود البشر إلى المرحلة التالية من سلم التطور الفكري.. مرحلة الاندماج مع الذكاء الصناعي والتكنولوجيا الحديثة، لزيادة ذكاء وقدرات البشر إلى أضعاف قدراتهم العقلية الحالية..

ببطء، وخلال سنوات قليلة، تحولت شريحة الـ BMI من كونها ابتكارًا جديدًا، إلى أداة أساسية يجبر جميع البشر على تركيبها بقوة القانون..

أُلغيت فكرة بطاقات الهوية وأرقام التأمين الاجتماعي، بل والجنسيات وجوازات السفر نفسها، والاستعاضة عنها بالشريحة التي بدأت في التطور لأجيال ونماذج جديدة أكثر حداثة وقوة.. الجميع صار مجبرًا على تركيبها، حتى الأطفال الصغار الذين يجيئون للحياة ويفتحون أعينهم لأول مرة على العالم، أُجبر آباؤهم على تركيب الشرائح لهم بقوة القانون.. والأدهى أن إقناعهم لم يكن صعبًا لهذه الدرجة.. فالناس كانوا يرون بأعينهم ما تستطيع تلك التكنولوجيا فعله، ولأي مدى يمكنها أن تنقلهم وتنقل أطفالهم إلى عصر جديد لم يجسر أحدهم على أن يحلم به من قبل.. كان بإمكانها أن تجعلهم نوعًا جديدًا من الكائنات فوق البشرية.. أشياء مثل الغباء أو الجهل أو انهيار التعليم أو الصحة العقلية وحتى الجسدية لم تعد مشكلة بفضل شرائح BMI الفائقة.. ما الذي يمكن أن يحتاجه المرء أكثر من هذا، ليصدق بأن المستقبل نفسه يقبع في الأفق، أمام عينيه، وعلى امتداد كفه، حتى ليوشك على أن يشم رائحته؟! بالطبع لم يتصور هؤلاء أن الأمر يمكن أن يكون له أي جوانب سلبية..

ولكن البعض حارب الفكرة كما جرت العادة، وخرج العديد من رواد نظريات المؤامرة ليصفوها بالمخطط الذي يهدف إلى استعباد البشرية كلها، والتحكم فيهم كما تساق النعاج.. بل وذهب بعضهم أبعد من ذلك، ليفترضوا بأن إيلون ماسك هو المسيح الدجال نفسه، وأن شركة (نيورالينك) بأكملها ما هي إلا وسيلته الشيطانية لتحقيق مخططه في السيطرة على بني البشر، ومحو عقولهم وإيمانهم بالخالق من جذوره..

والحقيقة أن أحدًا لم يتصور مدى صحة كلامهم وقتها، لأنهم جميعًا كانوا مشغولين في الآفاق المذهلة، والأبواب الضخمة التي فتحت الشريحة الباب لها، ومهدت لها الطريق.. لم يكن إيلون ماسك دجالًا، ولكن شركته التي تركها خلفه أصبحت بعد وفاته بعدها بسنوات قليلة، أكبر وأعتى من أي دجال عرفه التاريخ.. وصار نفوذها متوسعًا أشبه بأخطبوط لا نهائي الأذرع، موجود في كل مكان، خلف كل باب وتحت كل حجر، وداخل كل عقل..

عملية التعليم والمدارس نفسها أُلغيت، ولم تعد ذات قيمة.. فالجميع كانوا يحملون شبكة إنترنت كاملة داخل عقولهم، يمكنهم الولوج إليها في أي لحظة، والبحث عما يريدون تعلمه بمجرد التفكير فيه.. لم تعد المعلومة تكلف شيئًا أكثر من مجرد الوقت الذي يستغرقه عقلك في البحث عنها واستيعابها.. صحيح أن هناك بعض المجالات التي استمر تدريسها في الجامعات، بسبب كون المادة المتاحة منها على شبكات الإنترنت ضئيلة وشبه معدومة، إلا أن

هؤلاء كانوا نادرين للغاية، ومع الوقت، اختفت الجامعات بدورها مع تطور الشبكة وبنك المعلومات الهائل الذي يقبع بداخلها..

مستوى الذكاء البشري، والثقافة العامة نفسها زاد في ذلك الوقت لحدود غير مسبوقة.. لدرجة أنه صار من شبه المستحيل أن تجد شخصًا لا يعرف معنى مصطلحات مثل نظرية النسبية أو ميكانيكا الكم، وشرحها ومفهومها الكامل! الجميع صار بإمكانه مناقشتك عن صور الاقتصاد العالمي، وتاريخ الحضارات.. بل صارت وكالات الأنباء نفسها ومراسلو الأخبار شيئًا منسيًا، لأن كل شيء كان بإمكانك الحصول عليه بما هو أقل من لمسة زر.. مجرد بحث بسيط في شبكة الإنترنت الموجودة داخل عقلك، تجريه فقط بالتفكير!

وكنتيجة مباشرة لهذا، اختفت وظائف عديدة من المجتمع، بعدما صار الجميع قادرًا على العناية بنفسه.. وظيفة التدريس وأساتذة الجامعات على سبيل المثال وجدوا أنفسهم عاطلين فجأة.. ولم تفلح جهودهم في التحول لأي وظائف أخرى، وكان هناك غيرهم الكثير.. معدلات البطالة بلغت حدودًا غير مسبوقة وقتها، وصار البشر جنسًا مدللًا، يطلب فقط الرفاهية، ولا يعمل معظمهم شيئًا مفيدًا وحقيقيًا في حياته.. الوظائف والتعيينات نفسها لم تعد بمثل تلك الصعوبة التي كانت عليها من قبل.. ولم تعد حتى تتطلب شهادات جامعية متقدمة.. بل صار ممكنًا أن يُعين أي شخص في أي وظيفة علمية أو تقنية بمجرد أن يدرسها ويتشبع عقله بها بشكلٍ كافٍ من خلال تقنيات التلقين الحديثة التي ابتُكرت كإضافة على شريحة BMI..

وكنتيجة لهذا، زادت أعداد العاملين بالوظائف المرموقة مثل الطب والهندسة والطيران وغيرها، ولم يعد هناك من يريد أن يعمل بأي وظيفة أقل من هؤلاء.. ولذا فقد اتخذت (نيورالينك) قرارًا بإتاحة تكنولوجيا التلقين الذاتي الجديدة فقط للحكومات ووزارات التعليم، التي تختار بدورها الأشخاص الذين تمنحها لهم، مقابل مبالغ طائلة..

صار العاملون بالوظائف المرموقة ذات المرتبات الضخمة هم الطبقات الأكثر ثراء الذين لا يحتاجون لكل هذه الأموال الطائلة من الأساس، وتركوا الوظائف المتدنية ذات المرتبات الأقل للفقراء حتى يزدادوا فقرًا.. وبالتالي، زاد الشرخ بين الأثرياء والفقراء، وتشعب أكثر، وصار أخدودًا عميقًا لا قرار له.. وأسهم هذا كله في زيادة الاحتقان الذي كان موجودًا بالفعل بين الطبقة العليا والدنيا.. لم تعد الأعمال المرموقة تقاس بالكفاءات أو الذكاء أو المواهب، بل صارت من حق الأغنياء القادرين على دفع ثمن التكنولوجيا التي تعلمهم إياها فقط..

وببطء، تبخرت الطبقات الوسطى، كأنها لم توجد قط..

ببطء، كان العالم يتحول إلى مكانٍ موحش للغاية.. وكان كل هذا يتم أمام عيون الحكومات والأنظمة الحاكمة، وعلى مرأى ومسمع من (نيورالينك) التي لم يحرك رؤساءها إصبعًا لإيقاف كل هذا.. فكأنما كانوا ينتظرونه فعلًا، لهدف معين يعتمل في أنفسهم..

وظهر هذا الهدف بعد سنوات قليلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بحلول عام 2043، جاء الحدث الأكبر الذي غير شكل العالم بأكمله بعدها..

ثورة العُمّال..

الوضع كان مستمرًا في الالتهاب بمرور السنين، منذ بداية تطبيق قانون آلية التعلم الخاصة بشريحة BMI.. النفوس كانت تغلي، وكان الناس يرون أن ما يحدث وما تقوم به الحكومة بمساعدة من مجلس إدارة (نيورالينك) هو نوع من الفصل العنصري والتمييز بين الشعوب، لا يختلف كثيرًا عن العنصرية التي كانت تحدث منذ بداية التاريخ.. الفارق الوحيد هو أن التمييز هذه المرة أصبح بين الغني والفقير.. وأصبح يمس الاحتياجات والحقوق الأساسية ذاتها.. لذا فأنت تفهم سبب الغليان بالتأكيد..

وزاد الطين بلة أن الحكومات لم تتبع أسلم طريقة لفض المظاهرات التي كانت تخرج يوميًا في جميع بلاد العالم تقريبًا.. بل بدأوا في استعمال السلاح وقنابل الصوت، ووصل الأمر في بعض الدول ذات الأنظمة الديكتاتورية للرصاص الحي.. حتى مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الإنترنت لم تسلم من بطش الحكومات، ولم يتمكن روادها من الهروب من أعين الأجهزة الأمنية.. فشريحة BMI كانت بمثابة جهاز تتبع شديد الدقة، مزروع داخل عقلك نفسه.. لا مفر أو مهرب من عيون الأجهزة الأمنية إلا بخلع الشريحة..

وخلعها كان مستحيلًا دون أن يقتل الشخص نفسه.. لذا فلم يكن هناك سبيل للتعبير السلمي عن الرأي حتى.. كل من كان يجرؤ حتى على كتابة رأيه الشخصي الرافض للسياسة المتبعة، على حسابه الشخصي بأي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي، كان يُتعقب ليجد أرتالًا من قوات الأمن على عتبة منزله، تطرح الأبواب أرضًا لتعتقله هو وعائلته..

لم يكن هناك سبيل للرفض بأي صورة سلمية.. ولهذا فقد سعى الناس للتنفيس عن غضبهم بطريقة خفية ومبتكرة..

ومن هنا وُلِدَت منظمة (العين The Eye)..

في بدايتها، كانت عبارة عن منصة تواصل اجتماعي جديدة لا يدخلها إلا الخاصة، ولا يمكن استعمالها إلا من خلال دعوة توجه للعضو الجديد من عضو

فعال داخل المجموعة.. وطلب الانضمام هذا يُراجَع من قِبل مديري المنصة، والاستعلام عنهم أمنيًا بطرق معقدة، كانت تصل بعض الأحيان لتتبع تاريخهم عبر شريحة الـ BMI نفسها بطرق سرية ملتوية، قبل أن يُقبَلوا..

المنصة كانت تضم بداخلها عددًا ضخمًا من الثوار الرافضين للنظام السياسي الحالي الذي تطور لسلبهم ما هو أكثر من مجرد الحق في التعليم.. بل سلبهم حريتهم الشخصية وحرية التعبير ذاتها.. وبسبب اجتماعهم مع بعض وتبادلهم التجارب التي يمرون بها في مختلف أنحاء الكوكب، زاد الاحتقان جداً، لدرجة أنه انتقل بعد أقل من سنة واحدة إلى أرض الواقع..

وكان انتقاله هذا هو التاريخ الذي حدثت فيه الثورة..

في جميع أنحاء العالم، خرج عدد ضخم من الحانقين على الأنظمة الحاكمة، وعبروا عن غضبهم هذا بأعنف طريقة ممكنة.. فهاجموا أقسام الشرطة واستولوا على أسلحتهم، وهاجموا قوات الأمن التي حاولت مرة أخرى فض مظاهراتهم بالقوة، لتندلع حالة من الفوضى في جميع دول العالم، لم يشهد الكوكب لها مثيلًا من قبل..

معارك مسلحة كانت تدور في الشوارع بين قوات الأمن وثوار منظمة (العين The Eye) التي تجاوز نفوذها مجرد كونها منصة للتواصل الاجتماعي، لتصبح ذات وجود حقيقي ومؤثر في الشارع.. ولوهلة، بدا أن قوات الأمن نجحت في قمع المظاهرات بعد خسائر فادحة في الأرواح.. ولكنهم لم يتوقعوا أن يزيد عدد الثوار إلى الضعف تقريبًا، بعد أن رأى باقي الناس ما يحدث لهؤلاء الذين أرادوا أن يدافعوا عن أبسط حقوقهم في الحياة.. هناك مرحلة معينة يصبح السكوت فيها ضعفًا وتواطؤًا، ويتحول شعور الخوف إلى شعور عارم بالغضب والإصرار..

حتى بعض عائلات الأغنياء أنفسهم انضموا للثوار، وبدأوا في دعمهم بالمال.. وهو ما كان ينذر بتشقق عنيف في أساس ومفهوم المجتمع نفسه، في كل دولة في العالم.. وبالطبع لم يقف رؤساء الدول والحكومات ساكنين أمام هذا الذي يدور، بل هرعوا لعقد لقاءات وقمم سياسية عالمية تابعة لاتحاد الدول الفيدرالي Federal Union of States أو الـ FUS الذي حل محل منظمة الأمم المتحدة United Nations عام 2029 بعد فشل الأخيرة في حل النزاعات المسلحة التي نشأت في بدايات العشرينات في منطقة القرن الإفريقي على منابع النيل..

وكان قرار الـ FUS لحل الأزمة وفض المظاهرات والثورات مرعبًا ومتطرفًا، وأكثر وحشية بما لا يقاس..

بناءًا على اقتراح قدمته منظمة (نيورالينك) التي تعدى نفوذها في هذا الوقت دولًا كاملة، كان ما قرروا فعله هو أن يرسلوا إشارة إلى شرائح BMI الإلكترونية الموجودة في أدمغة كل هؤلاء الثوار، لجعلها تزيد من انبعاثاتها الحرارية بشكل ضخم، يؤدي لأن تنفجر داخل أجسادهم، وتنسف رؤوسهم تمامًا إذا لم يرضخوا لأوامر حكوماتهم ويتوقفوا عن القتال..

وبالفعل، بعدها خرج بيانٌ واحد باختلاف الألسنة الحاكمة التي أصدرته، وأذاعته جميع الشاشات الهولوجرامية في أكبر ميادين العالم وقتها، يأمر الثوار بالاستسلام أو الموت والإبادة.. وكان وقع هذا البيان خطيرًا ومرعبًا، أعاد للأذهان صور الإبادة العرقية الدموية التي كان يقوم بها النازيون الألمان تجاه اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.. الفارق الوحيد هو أن الإبادة هذه المرة كانت تحدث على مستوى العالم كله، وكان لها قوة القانون نفسه.. إبادة تهدف لقتل نور الحرية ذاته، وتبديله بظلمات الفقر والجهل والاستعباد..

ولهذا بطبيعة الحال، رفض معظم الثوار الاستسلام أو التخلي عن أسلحتهم.. ولم يكونوا في قرارة نفسهم يعتقدون أن الأمر يمكن أن يصل إلى حد أن يُنفذ هذا التهديد بالفعل.. كانوا يظنون أن تلك الأمور لا تحدث إلا داخل حبكات أفلام هوليوود الديستوبية الكابوسية فقط، ولم يجسروا على تصور أن وحشية كهذه يمكن أن تصير واقعية وممكنة في العالم الحقيقي..

لهذا فقد كانت دهشتهم عميقة، وفزعهم واضحًا حينما شهدوا تنفيذ التهديد بالفعل!

أدمغة الناس نفسها كانت تنفجر في وسط الشوارع، ووسط هتافاتهم بالحرية والعدل والمساواة.. لم يحدث الأمر في آنٍ واحد، بل كانت الإشارات ترسل على دفعات حتى يمكنهم استغلال حالة الرعب التي تنشأ في نفوس الثوار وهم يرون الجماجم التي تُنسف في لحظات لتتحول أجسادهم إلى مجرد جثث نازفة محترقة ترقد على قارعة الطرق بلا رؤوس!

وكانت المشاهد فعالة حقًا..

لم يستغرق الأمر سوى ساعات معدودة، قبل أن يعلن الثوار تسليم أسلحتهم والاستسلام دون أي شروط لقوات الأمن التي داهمت جميع المواقع التي كانوا يختبئون بها، ونسفت جميع المقرات السرية لمنظمة (العين) التي كانت سببًا في تفجير الثورة..

وحينما كان مشهد اعتقال الآلاف منهم من قلب الميادين، حتى يُقتادوا إلى السجون الجماعية، يحتل الشاشات في جميع أنحاء العالم؛ شاهده الجميع بعيونٍ مرتاعة لا تصدق أن هذا حدث بالفعل.. حتى رجال الأعمال وطبقات

الأغنياء الذين كانوا يعارضون الثورة منذ بدايتها كانوا يرتجفون فزعًا وهم يراقبون شعارات (نيورالينك) على الشاشات مقترنة بالمشاهد الدموية، ويتساءلون في قرارة أنفسهم عن الشيطان الذي أطلقوه من عقاله ليدمر حيواتهم نفسها..

وكانت نهاية الثورة هي بداية حقبة مظلمة وكابوسية من تاريخ الكوكب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التحول الذي حدث بعدها على ساحة السياسة الدولية كان فريدًا من نوعه، لم يجسر أحد من الخبراء السياسيين الذين كانوا يبنون تخيلاتهم لشكل العالم في المستقبل على تصور وقوعه حتى في كوابيسهم..

الحكومات نفسها فقدت السيطرة والنفوذ!

بعد نهاية الثورة وتدمير (العين)، كان الوضع مخيفًا بالنسبة للأنظمة الحاكمة واتحاد الدول الفيدرالي، وحتى العامة من الناس والشعوب نفسها.. فالمتحكم الوحيد في كل ما يحدث أو ما سيحدث في العالم بأكمله كان مجلس إدارة (نيورالينك)! وهذا مفهوم بالطبع نظرًا لأنهم الطرف الوحيد الذي كان يمتلك القدرة على إرسال إشارات تفجير الشريحة وقتل حامليها..

حاول الزعماء العالميين عقد لقاءات ومؤتمرات لتقنين استخدام هذه القوة غير المسبوقة التي كانت تتحكم فيها الشركة، إلا أنهم لم يفلحوا.. فأعضاء مجلس الإدارة كانوا يصدرون أوامر وشروطًا بلا حساب، ولا يهتمون بأحد أو يستمعون إلى كلام أي قوة في العالم.. ولهذا توترت الأمور إلى مدىً بعيد، صاحبه عمليات مخابراتية ضخمة حاولت الحد من قدرة الشركة على إرسال إشارات القتل، أو سلبهم القدرة على التهديد باستعمالها، ولكن كلها فشلت.. فلم تكن هناك أي معلومة واضحة لديهم عن موقع مركز البيانات الذي يعالج كل هذه المعلومات والأوامر من موقع خفي لا يعرفه أحد..

ولهذا قررت قوات التحالف الدولي تنفيذ عملية عسكرية موحدة تستهدف مقرات (نيورالينك) في جميع أنحاء العالم.. لم تكن فكرة أن يستسلموا لنفوذ الشركة المتزايد الذي تجاوز قوة الحكومات نفسها شيئًا يمكنهم ابتلاعه.. ولم يكن تدخلهم نابعًا من خوفهم على شعوبهم أو على حياة الأبرياء.. بل كان سعيًا لبقائهم هم، والحفاظ على نفوذهم وسيطرتهم على عالم مفكك، يعيش مواطنوه في خوفٍ دائم من الاستعباد أو الإبادة..

وحينما بدأوا في تنفيذ العملية بعد أقل من شهر من نهاية الثورة، تلقوا نفس البيان التهديدي الذي وجهوه من قبل للثوار.. ولكن هذه المرة في الخفاء، ومن مجلس إدارة شركة (نيورالينك) ذاتها!

قالوا لهم إن ما يوشكون على فعله هو خطأ ضخم سيكلفهم حياتهم، وأن جميع إشارات الشرائح الإلكترونية الخاصة بكل زعيم من زعماء العالم، وأعضاء اتحاد الدول الفيدرالي أو الـ FUS جاهزة للتفجير، وتنتظر ضغطة زر ليس أكثر!

وكان تهديدهم مفزعًا فعلًا، خصوصًا أن الجميع شاهد رؤوس الثوار وهي تنفجر وسط الميادين منذ أقل من شهر، وكانوا يعرفون أنهم قادرون بالفعل على التنفيذ، ولن يتوانوا عنه! لهذا فقد استسلموا دون شروط، وأوقفوا الحملة العسكرية تمامًا.. ثم بعدها جاءت الخطوة التالية التي أُجبِروا عليها ذلًا وخضوعًا..

الاستقالة والعزل التام من الحياة السياسية..

لم يكن الموضوع معلنًا للعامة لأن الأوغاد في (نيورالينك) كانوا أذكياءً حقًا، وكانوا يعرفون أن القمع المستمر وإخضاع الشعوب بالقوة والتهديد هو -لابد- سيخلق المقاومة التي لن تهدأ إلا بإسقاطهم.. كل فعل له رد فعل.. القانون الذي افترضه نيوتن منذ زمنٍ بعيد، ومازال يثبت صحته في كل يوم..

استقالة الزعماء كانت على فترات، ولأسباب مختلفة ومتنوعة.. كل منهم كان يقدم استقالته ويعتزل الحياة السياسية مبررًا هذا بأي سبب شخصي أو صحي.. وكان هذا شرط مجلس الإدارة مقابل إعطائهم الأمان في حياتهم الباقية التي سيعيشونها منعزلين بعيدًا عن الأنظار..

وبعد موجة الاستقالات والاعتزالات والتنحيات التي حدثت، جاء الزعماء الجدد، الذين كانوا كلهم من رجال (نيورالينك) في مختلف الدول والأماكن.. جميعهم كانوا ينتمون للشركة، أو مدعومين منهم أو تابعين لهم بشكلٍ أو بآخر..

وهكذا، أصبحت (نيورالينك) هي الحاكم الفعلي للعالم، والمتحكم الأساسي في سياسات جميع الدول الموجودة على الكوكب، ومصائر مئات الشعوب وملايين الأرواح، بنظامها العالمي الجديد الذي بنته على دماء الثوار..

العالم تحول إلى مكانٍ غريب للغاية.. مكان تناقص فيه نفوذ الدول حتى تلاشى تمامًا، وحل محله نفوذ شركة واحدة عابرة للقارات، صارت هي القوة العظمى الوحيدة القادرة على اتخاذ القرارات، والتحكم في الجيوش نفسها!

وكان النشطاء السياسيين التابعين لفكر منظمة (العين) التي دُمرت يلاحظون كل هذا وهو يحدث، وخمنوا بالفعل كل المخططات الخفية التي كانت تحدث بعيدًا عن العيون منذ بدأ اعتزال الزعماء السياسيين.. وحاولوا أن يوقفوا كل

هذا من خلال البروباجاندا الخفية التي يوجهونها لتعريف العامة بما يدور بمخفى عن عيونهم..

ولكن الإعلام المضاد التابع لـ (نيورالينك) والنظام العالمي الجديد تصدى لكل الجهود التي كانوا يبذلونها، حتى نجح أخيرًا في وصمهم بصورة المخابيل الذين يتبعون نظرية مؤامرة عميقة وضخمة لا أساس لها من الصحة، لدرجة أن الأمر وصل إلى أن سمعة هؤلاء الذين يتحدثون عن مؤامرة (نيورالينك) للسيطرة على العالم أصبحت أشبه بسمعة المؤمنين بنظرية الأرض المسطحة في بدايات العشرينات من القرن.. مجرد مجاذيب لا ينطقون سوى بالهراء..

ولكن بعض الضرر كان قد وقع بالفعل، إضافةً إلى أن سمعة (نيورالينك) نفسها لم تكن في أفضل صورها، بعد أن شاهد ملايين الناس في مختلف بقاع الأرض مشهد تفجر رؤوس الثوار في الميادين.. العديد كانوا يعارضون نفوذهم، ويعارضون نفوذ الحكومات، وكان الأمر ينذر ببداية ثورة جديدة من شأنها أن تسبب خسائر اقتصادية وبشرية ضخمة للغاية.. ولهذا كان الأمر يستلزم حلًا فريدًا من نوعه..

(قانون الذكريات)..

مادة قانونية أُدخلت في قلب كل دستور في العالم بأكمله، تقول إن على مواطني كل دولة التوجه سنويًا إلى عيادات خاصة تابعة لشركة نيورالينك، للكشف على شرائحهم بأجهزة متطورة يمكنها أن تعرف أفكارهم التي تسجلها الشريحة، وذكرياتهم عن الأفكار أو الانتماءات السياسية التي يتبعونها ويؤمنون بها.. ولو تبين أنها أفكار معادية للنظام والدولة، ولسلطة ونفوذ (نيورالينك)، فستُمحى كل هذه الأفكار السلبية تمامًا، وتُفرّغ الذاكرة من كل الأحداث التي يمكنها أن تؤثر على رأي الناس في حكامهم..

المادة كانت لها قوة القانون، ولم يجسر أحد على مخالفتها.. البعض حاول بالفعل، وفُجرت رؤوسهم في لحظات، وانتشر الخبر كالنار في الهشيم ليدمر ما تبقى من سمعة (نيورالينك) معه.. ولكنهم لم يهتموا، فقد كانوا يعرفون أن كل ما فعلوه سينمحي تمامًا من ذاكرة ملايين البشر الذين شهدوه رأي العين..

وهذا ما حدث بالفعل.. توافد الناس على عيادات (نيورالينك) الإلكترونية التي أنشئت مئات الفروع لها في وقتٍ قياسي في جميع أنحاء العالم، ليُكشف على شرائحهم، وتُمحى ذكرياتهم المتعلقة بعنف قوات الأمن وأحداث الثورة الدموية تمامًا.. واستمر هذا لأكثر من سنة، حتى انتهى استيعاب جميع

مواطني الدول داخل هذا البرنامج الإصلاحي، ومُحيت أحداث السنتين الماضيتين من عقولهم تمامًا، كأنما لم تكن قط!

وببطء، بدأ العالم يعود إلى سابق عهده.. لم يعد الناس يتذكرون أي شيء عن أحداث الثورة الدامية، ولا عن سياسات ونفوذ (نيورالينك) الهائل وحكمهم للكوكب بأكمله.. كل ما كانوا يعرفونه هو أن (نيورالينك) هي أكبر وأعظم شركة في التاريخ البشري، وسبب كل ما شهده العالم من تطور حضاري وتكنولوجي في النصف قرن الماضي..

سمعتهم صارت أشبه بالآلهة!

ومع مرور الوقت، أصبح دخول قادة (نيورالينك) في الحياة السياسية واضحًا وسافرًا، لا حياء فيه.. ورحب به مجلس اتحاد الدول الفيدرالي نفسه.. لدرجة أن الرئيس الأمريكي الذي كان أحد رجالهم، قدم للمجلس مقترحًا ثوريًا يهدف إلى دمج الأنظمة الحاكمة لدول العالم بأكملها تحت نظام رئيسي حاكم واحد، ينبع نفوذه من سلطة شركة (نيورالينك) نفسها.. ونال اقتراحه موافقة بالإجماع من المجلس بأكمله، الذي كان أعضاؤه جميعًا ينتمون للشركة بشكلٍ أو بآخر!

عملية تزوير سياسي سافرة كانت تدور على مرأى ومسمع من العالم بأكمله، ولم يدرك أحد أو يتصور أبعادها الحقيقية، لأن الجميع كانوا قد فقدوا ذكرياتهم الحقيقية بالفعل، وحلت محلها أكاذيب لا حصر لها..

وجاءت المرحلة النهائية في المشروع عام 2048، حينما حُل اتحاد الدول الفيدرالي بأكمله، وصار للنظام العالمي الجديد اسم رسمي يعرفه البشر جميعًا، هو مجلس التحالف العالمي International Alliance Council أو الـ IAC، الذي كانت تقوده شركة (نيورالينك)..

وكانت هذه هي البداية الرسمية لعصرٍ جديد من عصور الكوكب.. عصرٌ يسيطر فيه على العالم بأكمله مؤسسةٌ واحدة، يتحكم فيها مجلس إدارة واحد فقط، يقرر ما يعجبه، وينفذ ما يحلو له..

تحولت عمليات فحص الذاكرة التي تُسجَل على الشريحة إلى إجراءٍ أساسي في هذا العالم الجديد، يُؤدَى دوريًا كل عام طبقًا لقانون الذكريات.. وعقوبة العصيان أو التمرد كانت الموت الفوري..

مر الزمن دهورًا على أعوام، وأعوامًا على سنين.. وبتوارد الأجيال، اختفت المعارضة، والفكر الحر، وصار الجميع مجرد قشرة من أنفسهم السابقة..

وأصبح العالم مكانًا موحشًا للغاية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولهذا فأنت ترى معي الموقف الدائر الآن أمامك..

تراني جالسًا على المقعد الوثير، في عيادة (نيورالينك) الإلكترونية الأنيقة شاسعة المساحة، يجلس حولي أناس آخرون، ينتظرون أداء المسح على شرائحهم بدورهم..

موظفو العيادة يتحركون بين الأرائك جيئةً وذهابًا، يوزعون بسماتهم الهادئة الدافئة على الجلوس، وهم يقتادون من يحل عليه دوره نحو غرفة الكشف.. لا يعرف هؤلاء ما يمكن أن يحدث لهم لو وجد النظام خللًا في ذاكرتهم.. يساقون نحو هلاكهم كما تساق النعاج إلى المذبح، والأدهى أنهم لا يدركون، ولا يتصورون ما يمكن أن يحدث لهم خلال دقائق..

أنت تراني وأنا أتفرس بأنظاري في وجوه هؤلاء الجالسين حولي..

واحد على الأقل من بين هؤلاء ستحتوي شريحته على خللٍ ما، أو سيكون ذهنه حاملًا لأفكار معادية للنظام الحاكم أو على أقل تقدير ليست على هواهم.. وبمجرد أن يكتشفوا الأمر، فسيختفي هذا الشخص بلا أثر، ولن يعود من جديد، أو يراه أحد مرة أخرى..

بل -والأدهى- لن يتذكره أحد!

ترى ما الذي يمكن أن يشعر به هؤلاء، لو عرفوا القصة الكاملة التي عرفتها أنت الآن؟! أعرف أن عينيك تتابعني في مجلسي بين كل هؤلاء، وأعرف أنك تسمع الأفكار التي تدوي في عقلي ذاته.. صحيحٌ أنك لا تمتلك شريحة BMI، ولكنك تمتلك قوة المعرفة الكلية لما يجري داخل الصفحات التي تقرأها.. هناك من يعيشون في الحياةِ قصصًا، ومن يجدون في القصصِ حياة.. أنت من النوع الأخير.. تستمع لقصتي وتحيا بداخلها وترى تفاصيلها، ولكن دون أن تمتلك القدرة على التدخل في أحداثها..

فقط تراني وأنا أرفع عيني في هدوء إلى الطبيبة التي جاءت لاصطحابي وهي تبتسم بدفء، مشيرة لي بأن دوري قد حان.. فأنهض، أعدل من هندامي والمعطف الطويل الذي أرتديه، وأحكم غلقه على جسدي جيدًا، ثم أتبعها في صمت وأنا أتأمل الموجودات من حولي..

الممر الطويل المضاء بالأنوار الهولوجرامية المجسمة.. الحوائط المزخرفة الأنيقة التي لم يدّخروا سبيلًا لإظهار مظاهر البذخ على ملامحها.. هم يمتلكون العالم واقتصاده بالكامل على كل حال، فلن يهتموا بما تكلفه.. المهم هو أن تصير أنيقة، وفارغة من المعنى.. تمامًا كعقولهم..

تقتادني خلفها نحو الباب الضخم في آخر الردهة، فينزلق بانسيابية لينكشف عن الطبيب الجالس وراء جهاز الكشف الصغير الأشبه بكرسي الطبيب النفسي، ورجل الأمن الذي يقف بجواره لحراسته..

لماذا يصرون على وجود قوات الأمن؟! ألم يقضوا على المقاومة تمامًا، وقضوا حتى على أفكار المعارضة واجتثوا جذورها من العقول ذاتها؟! لماذا الخوف إذًا؟!

كديدن الجبناء دومًا.. يحتمون بحراسهم وجنودهم ولو كانوا في قلاعهم المحصنة، لأنهم يعرفون ويدركون تمامًا أن الظلم والطغيان لا يمكن أن يستمر أبدًا.. تلك قاعدة.. وفطرة البشر هي الخوف من المجهول دومًا.. خصوصًا لو كان ذاك المجهول يتعلق بنهاية حياتهم نفسها..

أدخلُ القاعة الضخمة، ويستقبلني الطبيب بابتسامة واسعة..

- «مرحبًا بك.. أستاذ..»

ينظر في جهازه اللوحي الهولوجرامي للحظة، قبل أن يتابع:

- «أستاذ حسن العربي، أليس كذلك؟»

أومئ برأسي إيجابًا وأنا أبتسم، فيشير لي بالجلوس..

- «تفضل.. دعنا نبدأ العملية..»

اقتربت من الجهاز، واستلقيت على الأريكة الوثيرة وأنا أضم معطفي إلى جسدي، فقال وهو ينهض لمساعدتي:

- «ألا تود خلع معطفك؟!»

- «لا.. اتركه من فضلك..»

أجبته في سرعة وأنا أعتدل في موضعي لأبعده عني، فحدق في عيني للحظة دون فهم، ثم استدار ليجلس على مقعده أمام شاشة الجهاز الهولوجرامية من جديد وهو يمط شفتيه في تعجب من شباب هذه الأيام..

- «ضع الخوذة على رأسك من فضلك..»

أتناول الخوذة الصغيرة من على المنضدة جواري، ثم أضعها فوق رأسي.. لا توجد أسلاك من أي نوع، بل هي تعمل بطريقة لاسلكية، وهذا أفضل وأسهل كثيرًا..

- «استرخِ تمامًا، واترك أفكارك لتتحرر من عِقالها.. سنبدأ العملية الآن، وسيفحص الجهاز شريحتك وذاكرتك بالكامل للتأكد من عدم وجود أي أعطاب

أو مشاكل بها..»

كما ترى، هم لا يخبرون أحدًا بالسبب الحقيقي وراء هذه الكشوفات، وأنهم في الواقع يقومون باستكشاف الذاكرة والأفكار والقناعات.. فلو عرف الناس، سيتحايلون على العملية ولن يحضروا.. ثم إن معرفتهم بسبب الكشف على ذكرياتهم من الأساس يمكن أن يشكل دافعًا يقود أذهانهم نحو تذكر الأحداث الحقيقية التي مرت منذ ثلاثين عامًا.. العقل البشري غريب فعلًا، ومُعجِز.. لا يمتلك أحد الإجابة على أسراره الكاملة..

- «يمكنك أن تريح ظهرك وتترك عضلات جسدك لتسترِخي.. لا يوجد ما يؤلم، ولا داعي للتوتر..»

هو بالتأكيد يرى معدلات جسدي الحيوية الآن، ويعرف أنني أرتجف انفعالًا وترقبًا.. هل ما يستولي على عقلي الآن هو شعور الخوف، أم المقت؟

- «أستاذ حسن.. أنت متوتر.. لا داعي للقلق، فالعملية غير مؤلمة، ولن تشعر بها من الأساس.. لكن شعورك بالتوتر سيؤثر على النتائج وعلى أفكارك بالتحديد، وسيؤدي لأن تزودنا الشريحة بنتائج وقراءات خاطئة..»

هو محق.. يجب أن أسترخي تمامًا، وأن لا أفكر.. ولكنَ الاسترخاء صعب فعلًا حينما يكون ذاك الذي يسبح في عروقك هو الأدرينالين وليس الدماء.. السيطرة على مشاعرك صعبة حينما يوشك الانفعال على قتلك..

لكن يجب أن أهدأ.. يجب أن أسترخي وأترك نفسي تمامًا.. سيكون الأمر مؤسفًا لو فشلت الخطة التي تُعد منذ شهورٍ طويلة بسبب انفعالي..

يجب أن لا أفكر..

- «هذا أفضل.. أحسنت.. دعنا نبدأ..»

يحرك يده في الهواء لتستقبلها مجسات الشاشة الهولوجرامية، ويبدأ في تفعيل البرنامج.. أشعر بسخونة داخل رأسي نفسها، فلابد أن معالج الشريحة يعمل بضعف طاقته الآن.. العملية غير مؤلمة، ولكن الشعور غير محبب على الإطلاق..

يجب أن لا أفكر.. فعدم التفكير يؤخر عملية المسح لثوانٍ معدودة، ربما تشكل الفارق بين نجاح المهمة أو فشلها..

الطبيب يسترخي في مقعده وهو يراقب الشاشة الهولوجرامية التي تتجسد في سماء القاعة، ويتابع مرور العملية وهو يقرأ بعينه سطور البيانات التي تجري أمامه..

الآن جاءت لحظة الحقيقة.. كل الأهداف التي عملنا من أجلها طوال شهورٍ طويلة من الاختباء والسرية توشك على التحقق..

أكاد أسمع أفكارك الحائرة وأنت تتساءل عن ماهية هذه الأهداف.. لابد أنك تسأل عن المغزى من كل هذا، والأهم، كيفية معرفتي لكل هذه المعلومات التي سمعتها تدوي داخل أفكاري، وكل هذا التاريخ المحرم الذي انمحى من ذاكرة الخلائق جميعًا، ولم يتبقَ منه أثر..

والواقع أن الإجابة تكمن في التفاصيل..

أنت تذكر منظمة (العين)..

المجموعة التي بدأت كمنصة تواصل اجتماعي خاصة ومحدودة، وتحولت مع مرور الوقت إلى تنظيم سري واسع النفوذ لا يعرف أحد اسم قادته أو ممثليه.. نفس التنظيم الذي أدى لتفجر الثورة، ونفس التنظيم الذي تحمل خسائرها المميتة، والإبادة الجماعية التي قضت على ملامح وجوده من التاريخ، فكأنما لم يوجد قط إلا في عقول المتمردين..

ولكن (العين) لم تمُت أبدًا.. فهي الحرية والعدالة والإنسانية..

(العين) كانت فكرة.. والأفكار لا تموت..

قادة المنظمة كانوا قد غطوا آثارهم جيدًا، واستطاعوا الهرب من سلطات الاتحاد الفيدرالي ونفوذ (نيورالينك)، وغاصوا أكثر في الظلال، ليتواروا تحت الأرض ذاتها، وخلف الستار.. بمجرد معرفتهم بخطة العالم لإفنائهم، زيّفوا خبر موتهم، وتركوا القوات الأمنية تهاجم مقراتهم وتدكها دكًا، ولم يظهروا في الصورة ولو لمرة واحدة، أو يعملوا أي عملية تخريبية للرد على كل هذا..

كانوا يعرفون تمامًا أن بقاءهم، وبقاء الثورة وأمل الحرية الوحيد يكمن في أن يتواروا بعيدًا عن الأنظار، ويحافظوا على حياتهم.. فوجودهم واستمرارهم كان يعني استمرار الأمل في غدٍ أفضل.. الأمل في المستقبل والحياة ذاتها..

لهذا فقد قرروا خوض اللعبة الطويلة..

اختفوا تمامًا عن الأنظار لسنينٍ ودهور، في مخابئ كانوا قد أعدوها تحت الأرض، في مخفى عن عيونٍ (نيورالينك) والسلطات.. وكانوا يصعدون للسطح أحيانًا ليمارسوا حياة طبيعية، ثم يتواروا تمامًا عن الأنظار في مواعيد عمليات الكشف على الشرائح بقانون الذكريات..

وبهذا استمروا..

شبابهم وسنين عمرهم ضاعت وهم ينتظرون.. صار أغلبهم عجائز في أواخر العمر، بعد أن كانوا شبابًا في عمر الورود في وقت الثورة..

وكل هذا الانتظار كان لتحقيق الهدف الأسمى، الذي لم يكن لهم مهمة غيره.. اختراق نظام الحماية الإلكتروني لـ (نيورالينك)، والولوج إلى شبكتهم المعلوماتية العالمية التي تضم بيانات جميع البشر الذي يحملون شرائح الـ BMI في أدمغتهم..

كانوا يعرفون أن هذه الشبكة يمكنها أن توصلهم إلى جميع الناس في آنٍ واحد.. فقد كانت تستعمل بالفعل في عمل الإعلانات الموجهة المبنية على أفكار واحتياجات كل شخص، من خلال نظام ذكاء اصطناعي يزرعها في عقول الناس كأنها نابعة من أفكارهم، ولم يكن أحد يعرف أي شيء عن هذا.. لم يتكلموا عن هذا حتى في سياسة الخصوصية التي يوقع الناس عليها قبل الخضوع لتركيب الشريحة..

لهذا فقد كان التمكن من اختراق هذه الشبكة هو الوسيلة الوحيدة التي يمكنهم بها هزيمة هذا النظام العالمي الجديد.. فحينها، سيتمكنون من زرع جميع الذكريات التي فقدها الناس في مختلف أنحاء العالم، عن الثورة والقمع وعمليات الإبادة، مرة أخرى داخل عقولهم.. وسيلعبونها بذكاء هذه المرة، فلن يجعلوها مواجهة مباشرة متكافئة الفرص بين الناس وقوات الأمن، بل سيكسبوا الصفوف من وراء الستار، حتى يتمكنوا من احتلال الأماكن الحيوية في أكثر المواقع حساسية، سواء بالجيوش أو الأنظمة والحكومات العالمية..

جل ما كانوا يحتاجونه هو فيروس رقمي صغير، يُزرع في شرائح أفراد المقاومة، حتى يتمكنوا من نقله إلى داخل قاعدة البيانات الخاصة بنظام (نيورالينك) الرقمي أثناء إجراء عمليات الفحص للشرائح.. وبسبب صعوبة هذه العملية، كان يجب أن تتم في آنٍ واحد، في أكثر من ألف عيادة مسح رقمي، بجميع دول العالم تقريبًا.. ففرص النجاح كانت ضئيلة، ولهذا كان يجب أن يضاعفوا المحاولات إلى ما يزيد عن احتماليات الفشل، حتى يمكنهم النجاح..

وهكذا جئت أنا إلى الصورة..

لم أنس يومًا مشهد رؤوس عائلتي بأكملها وهي تنفجر أمام عيني في قلب الشارع.. أبي وأمي وأختي الصغيرة.. لم يكن سني وقتها يتعدى العاشرة، ولكن المشاهد الدموية لم تغب عن ذهني أبدًا، وداومت على زيارة نومي كأحلامٍ كابوسية لا تنتهي..

وحينما سمعت عن الخطة من قادة (العين) حينما كانوا يطلبون المتطوعين، كانت هذه هي فرصتي للانتقام..

- «مهلًا.. ما هذا؟!»

قالها الطبيب وهو يعتدل في جلسته، ويميل على الشاشة الهولوجرامية مضيقًا عينه في تركيز وهو يرقب البيانات التي تجري أمامه على الشاشة..

هذه هي لحظة الحقيقة.. المرة الأولى التي سيدرك فيها سادة (نيورالينك) والنظام العالمي الجديد أننا مازلنا أحياء، وأن الثورة لم تمت كما ظنوا..

- «تم الدخول بنجاح.. أحسنت يا حسن.. لقد نجحنا..»

تدوي الفكرة داخل عقلي، فأتنهد في ارتياح وأنا أسترخي تمامًا.. شعور الحرية يغمر كل خلية في جسدي، ويوشك على أن يصير له طعم ولون ورائحة تفعم أنفي..

كل ما تبقى الآن هو الخطوة الأخيرة..

- «إنذار.. العين يخططون لهجمة إرهابية.. المعلومات مؤكدة، وأمامي الآن واحد منهم!»

الطبيب يحرك يده في الهواء بجنون مصدرًا الإشارات إلى الشاشة الهولوجرامية، وهو يتحدث بعقله إلى قادته عبر الشريحة، ولكن بصوتٍ مسموع دون أن يشعر بنفسه في غمرة انفعاله ورعبه..

أخلع الخوذة وأضعها جواري، ثم أنهض بهدوء من على الأريكة..

يتحفز الحارس وهو يراقب المشهد، ومنظر الطبيب المرتاع الذي نهض من مكانه وتراجع إلى الخلف وهو ينظر لي في فزع، بينما أستدير أنا في هدوء، وللمرة الأولي أخلع معطفي وألقيه أرضًا، ليظهر جسدي الذي تحيطه القنابل الإلكترونية الدقيقة شديدة التدمير..

- «لا.. أرجوك.. انتظر.. يمكننا أن نتحدث، وسننفذ لكم ما تريدون..»

أبتسم في هدوء رغمًا عني ابتسامة واسعة.. كيف لهم أن يعرفوا ما نريد؟! الحرية لا تُمنَح.. بل هي تكتسب.. هي فكرة لا تموت وفطرة بشرية لا تندثر، بل تبقى في العقول والصدور أبد الدهر..

كيف لهم أن يعرفوا ما نريد، وكيف يمكنهم الاستيعاب؟!

أنت تراني الآن وأنا أرفع يدي التي تحوي جهاز التفجير الصغير، أمام عيون الحارس والطبيب.. يجب أن لا يملك أحدهم الفرصة لفحص جهاز قانون

الذكريات الذي اخترق منه الفيروس نظام البيانات، فحينها سيتمكنون من تحليل كود البرمجة الذي يحويه، وستنكشف أمامهم خططنا بأكملها.. ولهذا يجب أن ينمحي الجهاز وكل من حوله من الوجود تمامًا..

أسمعك تتساءل عن هؤلاء الناس الأبرياء الذين يجلسون في الخارج منتظرين دورهم.. ما مصيرهم؟!

لا أعرف، ولا يوجد لدينا خياراتٍ أخرى على كلِ حال.. الحرب من أجل الحرية تكلف دماء غزيرة.. أنت تعرف هذا بالتأكيد، وتعرف أنها تسيل من عروق الأبرياء دائمًا، فما الذي تغير هذه المرة؟!

لا شيء تغير.. لا شيء سواك أنت.. فالآن أنت تعرف القصة كلها..

سمعتها بعقلك ورأيتها بعينيك، وتردد صداها في قلبك، كهتافات الحرية في الميادين..

فلا تنسَ..

لا تنسَ قصتي هذه أبدًا.. فهي قصتك أيضًا.. هي قصة الشعوب والبشر جميعًا التي تتكرر منذ آلاف السنين، ولا تتغير مشاهدها إلا بعقيدة الثورة، والفطرة التي خُلِق عليها البشر..

فطرة الحرية..

الحارس يحاول أن يتحرك نحوي ليمنعني، فأضغط الزر الصغير، ليدوي الانفجار الهائل مدمرًا المبنى بأكمله..

وتتناثر الشظايا والدماء على الجدران.. التي لم تعد أنيقة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-11-

عند حافة الكون

At the Edge of the Universe

(بداية التسجيل الصوتي)

مرحبًا بكم.

لا أدرى ما هو المغزى من هذا الذي أفعله، ولا لماذا بدأته، ولكن شعور الكتمان قميء فعلًا. يجب أن أحكي ما يجول بخاطري لأحدٍ، حتى لو كان جهاز تسجيل عتيقًا.

أسمعكم تتساءلون من أنا بالضبط، ولكم أقول إنكم تعرفونني بالتأكيد. لا أعتقد أن شخصًا لم يسمع عني من قبل، سواء كان على الأرض، أو في مستعمرات الاتحاد الفيدرالي العالمي United Federal Alliance أو UFA.

اسمي جيفري فيليبس. هذا أنتم تعرفونه بالفعل، ولكن ما لا تفقهونه هو كيف بدأ كل هذا. والحقيقة أن الأمر قد بدأ منذ زمنٍ بعيدٍ للغاية.

دعوني أحكي لكم القصة من البداية. ذلك اليوم الذي بدأ كل هذا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما زلت أذكر مظهر جسدها المسجى على السرير وقد غادرته الحياة.

شعرها الناعم الطويل، الذي لم يتأثر لونه أو ملمسه بسنها الذي تجاوز الأربعين. شفتاها اللتان غزتهما الزرقة، واستولت على وجهها لتمتزج بشحوبه، وترسم لوحة حزينة للموت. نهاية كل شيء منذ بدء الخليقة، وحتى الأبدية.

تلك النهاية التي لم أكن أفهمها أو أفهم ماهيتها في سنواتي السبع، وأنا أنظر إليها وإلى الطبيب الجالس جوارها، وهو يدير وجهه إلى والدي الواقف جواري يتطلع إليه في صمت. هزة رأسه التي أعلنت النهاية، وملمس كف والدي الذي قبض على يدي الصغيرة، وهو يقتادني خارج الغرفة، ثم يحيط كتفيَّ بكفيه، وهو ينحني على ركبةٍ واحدة متطلعًا إلى وجهي الصغير بعينيه الحزينتين اللتين ترقرقت داخلهما الدموع التي لم أفقه معناها أو ألحظها حتى وأنا أتطلع إليه بنظرة طفل في السابعة لا يفقه معنى الموت أو الحزن.

مازلت أذكر عبارته التي قالها وقتها.

«ماما قد سافرت إلى الرب يا جيفري».

لم أفهم ما قاله أو أستوعبه، ولذا سألته:

- «ولكنها ما زالت نائمة هناك بالداخل. كيف سافرت وهي هنا؟»

أنحدرت عبرة طويلة كالأنهار على وجنته وهو يجيبني بعبارته التي لم أنسها منذ يومها، ولن أنساها ما حييت:

- «جسدها ما زال هنا. ولكن روحها وعقلها قد سافرا بالفعل إلى مكانٍ بعيد. هناك عند حافة الكون».

لم أفهم وقتها معنى ما قاله بالضبط. بعقلٍ طفل صغير لا يفهم معنى الرب أو الإله، ولا يدرك معنى مصطلح حافة الكون، كنت مقتنعًا إلى درجة اليقين أنه مكان حقيقي. ربما كان بعيدًا بعض الشيء، ولكنه موجود فعلًا، يمكن السفر له والعودة من جديد. كنت مقتنعًا أن أمي حتمًا ستعود، وأنني سأراها من جديد يومًا ما.

حتى حينما تقدم بي العمر، وذهب أبي أيضًا إلى جوار الرب حد تعبيره، عند الحافة، لم أتوقف يومًا عن التطلع إلى السماء. عن التنهد، والطموح نحو ما يقبع هناك في الأفق. خلف مجال البصر، وخلف حدود الظلام، والنجوم. فربما استطعت يومًا رؤيتهما هناك. معًا. ربما استطعت أن أفهم لماذا ذهبا وتركاني هنا أنتظر.

ربما كان هذا هو ما نمَّى بداخلي ذلك الشغف الذي تكون بعدها لدراسة الفيزياء وعلوم الفضاء. ذلك الألم والجُرح الذي لم يندمل يومًا، وظل يتنامى يومًا بعد يوم، مع مرور الزمن، ونُضجي قبل الأوان. تلك الفترة المؤلمة التي تكتشف فيها أن العالم ليس جميلًا كما كنت تتخيل، وأنه يخفي داخل بهائه قسوةً وحزنًا واضحين. ذلك الشجن الذي يستولي عليك وعلى كيانك الذي أدرك أخيرًا أنه وحيدٌ تمامًا. لا أحد يهتم لأمرك، ولا أحد ينتظر عودتك بشغف. أنت فقط من ينتظر مُضيّ الوقت الذي يجلب معه الأيام والسنين، بلا رفيق سوى ألعاب الفيديو التي داومت على لعبها من وقتٍ لآخر، لتُذهب عنك وحشتك وتلك الوحدة التي أضحت سمة عالمك بعدها. الوحدة مع الأحلام والخيالات والطموح هي محرك قوي فعلًا، أو هكذا كنت أتخيل.

لم يكن التحاقي بمؤسسة الأبحاث التابعة لمركز ماساتشوستس للعلوم والتكنولوجيا MIT صعبًا، فقد كان الجميع يشهدون بنبوغي الفكري، ومعدل ذكائي الفائق الذي تجاوز مشاهير عديدين من العلماء العالميين الذين كانوا يتكونون في معظمهم من أساتذتي في الجامعة، ورؤسائي في مركز الأبحاث. كان انضمامي لهذا الكيان والصرح الهائل ضروريًا كالقدر، ولم يكن

هناك مفرٌ منه. شغفي بالفضاء وما يقبع هناك عند حافة الكون الواسع كان أقوى من أي شيءٍ آخر.

وربما كان هذا هو سبب بداية أبحاثي على محرك الانحناء Warp Drive الشهير، الذي يقوم بطيّ الفضاء نفسه أمام السفينة الفضائية، ليقرب المسافات على الأبعاد الكونية السحيقة، ويجعلها أقرب من أمتار. تلك الأسطورة الفيزيائية التي كانوا يسمونها بمحرك ألكوبييري Alcubierre Drive في بدايات القرن، ويعدونها خيالًا علميًا صرفًا، قبل أن يتغير اسمها رسميًا إلى محرك فيلبس، بعدما توصلت أخيرًا إلى كشف سِره ومعادلاته لأنال عنها جائزة نوبل في الفيزياء النظرية، ويتغير بعدها وجه العالم بأكمله.

للمرة الأولى في التاريخ، صار البشر قادرين على السفر في الفضاء إلى أبعاد سحيقة ومجرات أخرى بعيدة للغاية.. لأول مرة صرنا قادرين على الخوض في الفضاء العميق المظلم، لنرى ما لم تتصور عينٌ أن تراه يومًا.. تكنولوجيا السفر أسرع من الضوء صارت شيئًا ممكنًا بالفعل، والأدهى أنها صارت كذلك دون أي خرق لقواعد الفيزياء الكلاسيكية، أو معادلات أينشتاين الأشهر التي نصت على أن شيئًا لا يمكن أن يتجاوز سرعة الضوء. فالسفن الفضائية لم تكن تسافر في الواقع أسرع من الضوء، بل كان الفضاء نفسه هو من ينحني وينضغط ويتقلص حجمه أمام السفينة بفعل محرك الجاذبية العكسية المتطور، ليُقَلِّص المسافات الهائلة بين الكواكب والمجرات إلى كيلومترات معدودة.

للمرة الأولى في التاريخ، صار البشر قادرين على عبور الحاجز إلى سر الكون العظيم، والفضاء المظلم.. في خطوة وضربة واحدة، صرنا جنسًا متطورًا يحمل رتبة Type III على مقياس كارداشيف لتطور الحضارات Kardashev Scale. والأعظم من كل هذا، هو أنه تم بسبب أبحاثي ومجهودي أنا بالذات. لذا وكما لا بدَّ أنكم تتوقعون، كان هذا كافيًا ليعدني المجتمع العلمي بعدها العقل الأكثر شهرة وتأثيرًا في التاريخ العلمي البشري بأكمله. في لمح البصر صار اسمي أشهر، وصار وقعه أشد تأثيرًا؛ من اسم أينشتاين أو ماكس بلانك أو هايزنبرج. صار الاسم (فيلبس) محفورًا في جدار التطور البشري، بالضبط عند نقطة بداية عصر الفضاء واستيطان الكواكب والمجرات البعيدة.

ولكن أحدًا لم يعرف يومًا السبب والدافع وراء كل هذا.

لم ير أحدهم يومًا تطلعي نحو الفضاء الواسع، ونحو نجومه البعيدة بعيون الأمل والطموح. لم يرقب نظرة الشغف والرغبة التي كانت تُطِل من داخل

عينيّ كلما ارتفعتا نحو السماء الصافية. لم يفقهوا يومًا رغبتي في رؤية ما هو خلف كل هذا، ولم يستوعبوها. وكيف يستوعبون؟

كنت متأكدًا أن حافة الكون تختفي هناك، خلف جدار الظلام الواقع في كل ركن على مجال البصر. حيث تنتظر أمي وتراقب كل شيء. تمامًا كما أخبرني أبي في ذلك اليوم، قبل أن يسافر إليها بدوره، ويتركني لشجوني والحنين. كان ذاك يقيني الأوحد، والشعلة التي أبقتني حيًا منذ زمنٍ بعيد، مر كلحظاتٍ قصيرة. إضافةً إلى التساؤلات كانت وقودًا لا ينضب، لعقلٍ حائر متأمل، لا يتوقف عن السؤال، ولا يكُفْ.

هل هناك حياةٌ بعد الموت فعلًا؟ هل أمي وأبي، وكل الموتى الذين رحلوا عن العالم، يعيشون ما تبقى من حياتهم الأبدية هناك؛ عند حافة الكون؟!

هذا كان السؤال الأكبر، والسر الأعظم الذي أسعى لمعرفته منذ جئت إلى العالم..

لذلك فعندما التقط مرصد (بلانك -D7) تلك الصورة المهيبة من موقعه على حدود أبعد مجرة معروفة لنا، لم يتأثر أحدهم بها أو يفقه معناها مثلي أنا.

ذلك الجدار الأبيض الذي يشع نورًا بهيًا على مرمى البصر. مثل النهار الساطع في نهاية نفق مظلم عميق بلا قرار. جدارٌ لم تره عينٌ في يومٍ، ولم يبصره بشر.

للمرة الأولى كنا نشهد بأعيننا ما يقع خلف حدود الكون المنظور الذي ظل خيالنا سجينه لآلاف السنين، قبل أن يتحرر من قيوده، وينطلق نحو السر الأعظم. جدار النور العظيم الذي لم نشهده من قبل، بسبب تمدد الكون الأسرع من الضوء، والذي لم يمنح شعيعاته أبدًا فرصة أن تصلنا هنا على الأرض.

ولكننا نراه أخيرًا.

رؤية الصورة والبث الحي الذي سجله المرصد للمرة الأولى، كانت أشبه بالحلم. فأنا وحدي دونًا عن البشر جميعًا كنت أعرف معنى هذا الذي أراه. أعرفه، وأنتظره منذ زمن بعيد للغاية.

إنها الحافة. النهاية، والمعبر. كل ما كان أنبياء العهد القديم يتحدثون عنه، وكل ما تطلع البشر له منذ فجر التاريخ، دون أن يروه يومًا. هذه هي إجابة كل الأسئلة، تلوح في الأفق من بعيد، وتبعث بضيها البهي إلى كل ركن.

وأنا الآن أراها.

كان تأثير البث على العالم بأكمله عظيمًا. فلأول مرة كان الجميع يشهد بعينيه حافة الكون ذاته، أو كذا كانوا يظنون. العقول جمعًا تساوت، وامتزج خيالها بجهلها وضعفها، ليعجز عن تفسير ذاك الذي كانوا يرونه، أو سبر أغواره.

لذا حينما تقرر إرسال بعثة استكشافية إلى الجدار، كنت أنا أول المتطوعين. وبرغم الاعتراض العالمي على ذهابي، لكون قيمتي عظيمة لا يمكن تعويضها لو حدث ما لا يُحمد عقباه، فإنني كنت مصرًا كالقدر. وكان نفوذي يتجاوز نفوذ رؤساء الدول والتحالفات الفضائية بأسرها. لو كان هناك من سيذهب إلى جدار الضوء، فهو أنا، وليس غيري أحد.

وكان اليوم الذي انطلقت فيه السفينة (Edge 700) إلى الجدار العظيم، حاملة إياي على متنها، يومًا فريدًا من نوعه. تغطية إعلامية لا مثيل لها، عبر الكون بأكمله، بكل ما يحويه من مستعمرات بشرية تابعة للاتحاد الفضائي الفيدرالي. الأرض والفضاء بأكملهما كانا يشاهدان رحلتي نحو الضوء.

لم يكن الشعور الذي استولى على كل خلية في جسدي وقتها قابلًا للوصف بكلمات بشرية فانية. لم يكن الوصف نفسه قادرًا على التعبير عمّا كنت أشعر به وقتها.

أنت الآن أمام السر الأعظم. تقف بالضبط على الحافة، بين الواقع والخيال. بين الحقيقة وما خلفها. بين النور والظلام. أنت في الموقع الذي تخيله كل بشري منذ بداية التاريخ، وتخيل وقوفه أمامه في يومٍ ما، بعد مماته.

أنت الآن تقترب من حيث ينتظر والداك منذ الصِغَر، ونحو الأبدية. وتتساءل نفسك رغمًا عنك عن ذاك الذي يختفي في أعماقها. قلبك يخفق في قوةٍ وعنف لم يسبق لهما مثيل.

وحين اقتربت السفينة من جدار النور، وتطلعت عبرها إلى ما ينتظر خلفه، لم أتمكن من رؤية ما هو هناك من موقعي بداخلها. لذا قررت تركها، والخروج منها إلى الفضاء المظلم، لأسبح نحوه في بطء.

كنت أطفو أمامه مباشرة، وأوشك على أن ألمسه بأصابعي. ممتدًا كان في كل الاتجاهات، وعلى مرمى البصر. في الأعلى والأسفل واليسار واليمين لم يكن هناك ما هو غيره، ولكنَّ عيناي لم تستطع الغوص إلى الداخل.

كان أشبه بحائط خفي من الخرسانة. صلبٌ كالحديد، وخفيف كالهواء. ليس له ملمس أو لون أو رائحة. ليس هناك ما يظهر بداخله، ولا يتبدى منه شيء. لم أفهم حينها كيف يمكن أن يكون هناك شيءٌ كهذا، أو يحدث. كيف يتسارع الكون ويتمدد، لو كانت نهايته هنا عند ذاك الجدار الصلب اللا مادي؟ لم أفهم

المعنى أو المغزى. وحينما حاولت الولوج إليه، لم يقوَ جسدي على العبور. ولم تقدر عيناي على رؤية ما هو بعده لسببٍ بسيط.

لأنه لم يكن هناك شيء!

لم يكن فراغًا. ولكنه كان المعنى الحقيقي للّا وجود. المرادف الحرفي للعدمية. اللا شيء.

لم يكن مسالمًا وجميلًا، ولم يكن شريرًا أو قبيحًا. لم يكن سعيدًا مبهجًا، ولم يكن شنيعًا دميمًا أيضًا.

لم يكن شيئًا، ولم يكن كمثله شيء. كان فقط جدارًا مصمتًا لا وجود لأي حدود بعده. كان هو النهاية.. حافة كل ما هو موجود، وبداية كل ما هو مجهول.

كنت أعرف أنني قد وجدته أخيرًا، وأنني قد فزت بالجائزة الكبرى.. جائزة المعرفة.. حلمي الذي بدأ كل شيء، وحلم كل إنسان منذ بدء الخليقة، وجواب كل سؤال تكوّن داخل خواطر أحدهم في يوم، كان أمامي وعلى مرمى أصابعي. ولكنه لم يكن أي شيء.. مجرد جدار طويل يفصل كل ما هو موجود، عن السر الحقيقي للكون الذي لم يكن مقدرًا لبشريٍ في يومٍ أن يراه أو يعرفه، أو يعبر الخط الفاصل نحو حدوده اللامتناهية..

تمامًا كألعاب الفيديو التي داومت على لعبها في صغري لتؤنس وحدتي، لم تكن جائزة الفوز أكثر من مجرد قرص لعبة فيديو مكتمل، لم أعد أحمل نحوه أي عاطفة أو شغف.

وحينها فقط، أدركت أي أحمقٍ كنته.

أدركت أنني لم أكن طيلة كل هذه الدهور والسنين أطارد مصدر كل المعاني والبدايات والنهايات. لم أكن أسعى نحو حافة الكون. لم أكن أسعى نحو الجنة أو نحو رؤية الرب العظيم. لم أكن أطارد حتى ذكرى أبي وأمي.

كان جلَّ ما كنت أتطلع إليه، وأسعى له وأطارده هو الأمل. الأمل في شيء ما ينتظر. في مغزيٍ ما يقبع خلف كل هذا. بعد النهاية.

كنت فقط أسعى لأن أمتلك ما يمكن أن أسعى له.

ولكنني كنت أحمقًا فعلًا..

ككلب ظل عمره كله يطارد ذيله، كل ما كنت أطمح له كان بحوزتي طيلة الوقت. الأمل. الأمل نحو غايةٍ ما، ونهايةٍ تنتظر. نهاية لا مغزى لها، ولا معنى؛ إلا ما يبذله الجميع لبلوغها..

نهايةٌ لا إجابة لها في هذا العالم، ولا سبيل لفهمها بعقولنا البشرية الفانية.. ربما في العالم الذي يليه، أو في حياةٍ تالية..

إجابة السؤال الأعظم كانت قاسية فعلًا، لا يتحملها أحد.. كيف يمكن أن يتحمل أحدهم أن السؤال الأعظم الذي عاش عمره كله ينتظر إجابةً عليه، ليست له إجابة في هذا العالم، وهذه الحياة؟!

حينها، ببطء؛ بدأت الحقيقة شيئًا فشيئًا في التكون أمام عيني.. وكنت أعرف ما ينبغي علي عمله..

لو كنت أطمح للإجابة فعلًا، ولرؤية ما يختفي عبر هذا الجدار، فيجب أن أعبر الخط الفاصل بين الحياة والموت.. بين الفناء والخلود.. يجب أن أبدأ الرحلة التي بدأتها أمي وبدأها أبي منذ عشرات السنين، حينما رحلوا عن العالم كله، وذهبوا إلى ما هو بعد حدوده نفسها..

إلى ما بعد الحافة..

لذلك فحينما عدت إلى السفينة في صمت، وعدت أدراجي إلى الأرض، وأمام العدسات والكاميرات، أخبرت الجميع بالشيء الوحيد الذي كان يمكن لي قوله..

أخبرتهم بأن هذه ليست النهاية. إنها مجرد ظاهرة فيزيائية وكونية كأي ظاهرة أخرى، وإن هناك ما هو خلفها. ما زال هناك ما ينتظر اكتشافه..

فكيف يمكن أن أخبرهم أن هذا الجدار هو نهاية كل ما يمكن لنا معرفته في هذه الحياة؟! كيف يمكن أن أخبرهم أن السر الأعظم الذي يسعى الجميع لبلوغه منذ مجيئهم للدنيا وحتى مماتهم، لا سبيل لمعرفته إلا بعد الرحيل؟!

كيف يمكن أن أخبرهم أن اللغز مستمر، وأنه لا نهاية سعيدة في الأفق؟

كلا.. يجب أن يظل لديهم الأمل في شيءٍ ما. غاية يسعون لأجلها ويعملون غية تحقيقها.

يجب أن لا يعرفوا كما عرفت. فحينها فقط ربما أمكن لحيواتهم أن تستمر.

ولكنَّ هذه هي نهاية الخط بالنسبةِ إليّ.. لم أعد أمتلك ما يثير شغفي في هذا العالم بعد الآن.. الإجابة على تساؤلاتي كلها تقبع هناك.. بعد الحافة.. ولا سبيل لبلوغها إلا بترك كل هذا خلفي إلى غير رجعة..

لا أدري لِماذا حكيت كل هذا لجهاز التسجيل ذاك، ولكن ما أملكه داخل صدري كان يجب أن يُقَص على مسامع أحدهم. حتى لو لم يكن له آذانٌ تُصغي أو تَستَمِع.

الآن فقط يمكن أن أستريح. أن لا أفكر.
فقط أدس الفوهة الباردة داخل فمي.
وأضغط الزناد..
(نهاية التسجيل)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خاتمة

ما ماهية الكون، وماهية العالم؟!

ما السر الذي يختفي خلف حافة الكون نفسها، عند نهاية حدود الخيال والمعرفة البشرية، وبداية كل ما هو مجهول وغامض وغير مطروق؟!

هل هذا العالم الواسع هو كما نعرفه ونتصوره فعلًا، أم أن هناك أسرارًا تقبع خلف كل ركنٍ، وتنتظر؟!

تنتظر أن يكتشفها أحدهم ويزيح عنها الستار، فقط ليفاجئه تعقيدها الذي تخفيه، ومزيد من الأسرار التي لا يقوى عقلٌ على استيعابها.. أسرار لم يجسر بشرٍ على أن يدركها أو يتفكر فيها منذ فجر الزمن نفسه..

هذا الكون الهائل الذي نراه كل يوم لو رفعنا أعيننا إلى السماء، هو نفسه الكون متناهي الصغر الذي يقبع داخل ذرات أجسادنا، وبداخل عقولنا نفسها..

هو نفسه البحار والمحيطات والأمطار والعواصف والأعاصير.. هو الطبيعة ذاتها.. هو الشموس والنجوم والكواكب والأقمار والنيازك والمذنبات..فكأنما كل شيءٍ يترابط مع بعضه، ويتداخل بلا تفرقة..

ورحلة البشر منذ جاءوا إلى هذا العالم، كانت وستكون دومًا محاولة هدفها تفسيره، وإماطة اللثام عن اللغز الأوحد؛ والسؤال القديم قِدَم الأزل ذاته..

ما هي ماهية الكون، وماهية العالم، وما الذي يختفي هناك، عند نهايته، وخلف حافة الواقع ذاته؟!

هذا هو السؤال الحقيقي، وإجابته لن تتحقق يومًا سوى بشيءٍ واحد.. شيءٌ كان هو دومًا الأداة التي مكنت البشر من الغوص في أعماقه ومحاولة سبر أغواره منذ فجر التاريخ..

هذا الشيء هو الخيال.. فدعه يتحرر..

اتركه يَقُدْ عقلك في رحلة مذهلة نحو بداية الزمن نفسه.. رحلة نحو حافة الكون..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الرواية..

مقدمة..

- 1 -
إنفيرنو
Inferno
- 2 -
كائنات العالم المسطح
Flat World Creatures
- 3 -
السجين
The Prisoner
- 4 -
خطأ في البرنامج
A Glitch in the program
- 5 -
المعبر
The Crossing
- 6 -
HV-53
- 7 -
اليومُ الأخير على الأرض
The last day on earth
- 8 -
رواية كل شيء
The novel of everything
- 9 -
ذلك الذي جاء
He who came
-10-
قانون الذكريات
The law of memories
-11-

عند حافة الكون
At the Edge of the Universe
خاتمة

Notes

[←1]

(1) راجع قصة (كائنات العالم المسطح).